مصطفى أمين يتذكر

سعد زغلول .
النحاس .
فاروق .
عبد الناصر .
السادات .

اعداد
جمال الغيطاني

مكتبة مدبولي بالقاهرة
٦ ميدان طلعت
ت ٧٥٦٤٢١

الناشر
مكتبة مدبولي بالقاهرة
٦ ميدان طلعت
ت ٧٥٦٤٢١

مصطفى أمين يتذكر

سعد زغلول .
النحاس .
فاروق .
عبد الناصر .
السادات .

اعداد
جمال الغيطاني



الطبعة الأولى
يناير ١٩٨٣

« عرفت السادات منذ الأربعينات ، والسبب انه عندما وقع حادث ٤ فبراير ، كنت أحد الشبان الذين تمنوا أن يقتلوا امين عثمان ، الوزير المصرى والعميل الانكليزى الذى قال : « أن مصر قد تزوجت من انكلترا ، زواجا كاثوليكيا ، لا طلاق فيه » . ولو كنت قادرا على قتله لفعلت . كنت أعرف الدور الذى لعبه فى اقناع مصطفى النحاس بقبول تأليف الوزارة فى حماية الانكليز. اعتقدت انه قتل صديقى مصطفى النحاس ، وشعرت ان من واجبى أن أقتله أيضا ، فلما جاء أناس آخرون وقتلوه ، شعرت كأننى أحد المتهمين ، وتبنت « أخبار اليوم » الدفاع عن قتلة أمين عثمان ، وكان من بينهم انور السادات ، جاءنى كامل قاويش رئيس النيابة الذى يحقق فى القضية وقال لى ان الزعيم الحقيقى للعصابة هو انور السادات ، ولكننا لا نستطيع أن نمسك عليه أى دليل ، لان اعصابه قوية جدا ولا ينطق بكلمة ، وقال انه يبدو من التحقيقات أن هناك جناحا عسكريا ، وانه مشترك فى هذا الجناح ، أو على الأقل يمثل همزة الوصل بين القتلة و بينه ، وقفت « أخبار اليوم » تؤيد منع اعدامهم ، ونجحت فى تهيئة الرأى العام لذلك ، ثم صدر الحكم وكان مخففا جدا ، حكم على حسين توفيق المتهم الأول بعشر سنوات سجن ، وتمت تبرئة عدد كبير من المتهمين ، كان منهم انور السادات نفسه ، وفى هذه الأثناء هرب حسين توفيق من السجن بل من مصر بأكملها ، وفجأة قبض عليه فى الأردن وهنا شعرت أن من واجبى أن أذهب الى الأردن بالفعل سافرت وقابلت الملك عبد الله ملك الأردن وقتئذ .

اللقاء مع الملك عبد الله

قلت للملك عبد الله : « انت مكروه فى مصر ، ليست لك شعبية ولكن يمكنك أن تحسن صورتك أمام الشعب بعمل واحد فقط » .

قال : ما هو؟

قلت : أن تفرج عن حسين توفيق ، لأن حسين توفيق قتل عميل بر يطانيا . فعندما تقبض عليه سيقول الناس ، طبعا ، انه يقبض عليه لأنه عميل مثله ، ولكن اذا أفرجت عنه فسيختلف الأمر .

اقتنع الملك وقال لوز ير الحر بية فوزى الملقنى الذى كان موجود أثناء الحديث : اذهب مع مصطفى أمين الى السجن واخرجا حسين توفيق .

ذهبت الى السجن اصطحبت حسين توفيق الى الفندق ، وقضيت معه ليله كاملة جعلته يكتب فيها مذكراته بخصوص حادثة مقتل أمين عثمان ، وعدت الى القاهرة لانشرها فى « أخبار اليوم » . ومن الغر يب أننى وأخى على أمين لم نختلف على شئ إلا على أمين عثمان . كنت اعتبر ما فعله خيانه وكان هو يعتبره خلافا فى الرأى .

تلك كانت بداية صلتى بأنور السادات .

من ناحية اخرى كان هناك صحافى فى « أخبار اليوم » متهم فى قضية أمين عثمان ، وهو سعد كامل ، وكان صديقى جدا ،

وكان سعد كامل أحد الذين دبروا هرب حسين توفيق ، وكان على صلة بأنور السادات أيضا ، فكرت أن اتصل بأنور السادات وأن أعرض عليه كتابة مذكراته فى « أخبار اليوم » ولكننى فوجئت به ينشر مذكراته فى « دار الهلال » ، وقد كنت اتمنى أن تنشر فى « أخبار اليوم » . وكثيرا ما أجد بعض الأشياء منشورة فى صحف اخرى ، وأتمنى لوانها كانت منشورة فى صحف « أخبار اليوم » وكانت هذه المذكرات التى نشرت بعنوان « ٤٨ شهرا فى السجن » أحد هذه الأشياء ، ثم مضى الزمن ، حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وفوجئت بانهم قبضوا على أنا وأخى على أمين . ودهشت .

السادات يشرف على الصحافة

دهشت لأننى كنت أمهد للثورة من خلال مقالاتى فى « أخبار اليوم » أذكر أن عبد الناصر قال فى أحد اجتماعاته بالصحفيين : انه قرأ لى مقالا بعنوان « البحث عن قائد » قبل الثورة ، وأن هذا المقال أثر فيه كثيرا . وكنت أحدد فيه الشروط المطلوبة فى قائد جديد للبلاد ، عندما قبضوا علينا ، اعتقدت انهم يتحفظون علينا لحرصهم على الأننشر خبر عزل الملك فاروق فى « أخبار اليوم » التى كانت تصدر صباح السبت ، وكانت لدينا معلومات تؤكد ان رجال الثورة فى نيتهم عزل فاروق قلت : ربما أرادوا الانننشر الخبر ولهذا اعتقلونا ، ثم سجننا فى معتقل كانوا قد أعدوه فى مبنى الكلية الحربية .

فى اليوم التالى كنا نقرأ جريدة « المصرى » عندما فوجئنا بخبر منشور يقول : انه تم القبض على اثنين من اصحاب الصحف ، لأنهما اتصلا بلندن ، و بالتحديد بوكيل وزارة الخارجية البريطانية ، وطلبا منه التدخل لوقف الثورة وقمعها .

دهشنا جدا ، واعتقدنا انها مؤامرة لذبحنا . بعد ثلاثة أيام فوجئنا بأنور السادات يزورنا فى الزنزانة ، قال لنا : ان أحد الأشخاص ذهب اليهم وقال : انكما طلبتما لندن بالتليفون صباح ٢٣ يوليو١٩٥٢ ، وانكما طلبتما من وكيل وزارة الخارجية البريطانية التدخل ضد الثورة ، وهناك شريط مسجل عليه الحديث ، وقال انه كان من رأى بعض الضباط الأحرار ان تضربا بالرصاص ، ولكن تم الاتفاق فى النهاية على سجنكما ، وبعد ان تم ابعاد الملك فاروق ، ذهبنا الى مصلحة التليفونات وطلبنا الشريط المسجلة عليه المكالمة ، ولكنهم فى مصلحة التليفونات قالوا : ان « أخبار اليوم » لم تطلب لندن على الاطلاق ، لا يوم ٢٣يوليو، ولا يوم ٢٤ يوليو، ولا ٢٢ يوليو وأن على ومصطفى أمين لم يتحدثا الى لندن تليفونيا أبدا طوال شهر يوليو!

و يطرح السؤال نفسه : من كان وراء هذه الوشاية ؟

« .. كان الواشى محررا فى جريدة منافسة على صلة قوية بثروت عكاشة ، وتشاء الظروف أن يحكم عليه بعد سنتين بعشر سنوات سجن فى تهمة تخابر مع بريطانيا » .

ذهبنا الى مجلس قيادة الثورة فور الافراج عنا ، وهناك التقينا باللواء محمد نجيب ، وجمال عبد الناصر ، و بغدادى ،

وكمال الدين حسين ، وصلاح سالم . قال محمد نجيب : نحن آسفون جدا لهذا الخطأ ، لقد بحثنا الموضوع فلم نجد له أى اساس من الصحة ، وهنا قال عبد الناصر : أظن انه من حقكما ان نصدر بيانا نوضح فيه حقيقة ما جرى ، ونقول فيه اننا آسفون جدا ، وانه تبين لنا انكما بريئانٌ . وبالفعل أعد البيان ، وأذيع فى الاذاعة أربع مرات فى يوم واحد .

بعد ذلك تقرر أن يشرف أنور السادات على الصحافة ، وكان يأتى الى « أخبار اليوم » . كان مكتبى وقتئذ فى الطابق الثانى ، ولم تكن « أخبار اليوم » تتكون الا من طابقين فقط ، كان يجئ يوميا و يدير عمله من مكتبى .

« أكبر متآمر فينا »

كان يجئ و يتصل بالصحف ، و بالاذاعة ، وبهذا اتيحت لى ملاحظته عن قرب . كانت فكرتى عنه انه متطرف وعنيف ، لكن ما كان يجرى أمامى كان يؤكد عكس ذلك ، كان يحدث ان يتصل احد اعضاء مجلس قيادة الثورة به ، ويحتج على نشر خبر فى « الأهرام » ، و يقول : أنا سأرسل الشرطة العسكرية للقبض على عزيز ميرزا رئيس تحرير « الأهرام » .

ثم يتصل عضوا آخر ليقول : أنا سأرسل دبابات لمحاصرة جريدة « المصرى » واحد ثالث ، يقول أنا سأنسف « أخبار اليوم » .

كل يوم اتصالات من هذا النوع ، وكان السادات يهدئ المتحدثين فى التليفون و يطلب منهم ان يدعوا له الأمور.

الوحيد الذى لم يكن يهدد ، أوينذر، هو.. جمال عبدالناصر..

وكانت ثورة بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة تجاه نشر بعض الأخبار غير ذات الشأن كأن ينشر مثلا ان هناك اتجاها لاجراء التطهير ثم حدث ان اكتشفت مؤامرة دبرها الاخوان المسلمون لاغتيال عبدالناصر، كانت تتلخص فى ان يرتدى بعضهم زى البوليس الحربى ، ويهجموا على مجلس الوزراء لقتل عبدالناصر، وفى هذا اليوم كنت أزور جمال عبدالناصر وكان يقص على أخبار المؤامرة ، وفجأة سكت ، نظر الى ، ثم سألنى :

— تظن من يمكنه ان يخلفنى فى قيادة الثورة بعد موتى ؟

بعد لحظة صمت قلت له :

— أما بغدادى .. واما عبدالحكيم عامر..

وهنا هز رأسه وقال :

— لأ .. ان من سيخلفنى هو أنور السادات ..

قلت على الفور:

— مش معقول ..

قال :

— لأ .. أؤكد لك انه أنور السادات ، لأن السادات أكبر متآمر فينا .

وبعد لحظه قال :

— لقد حيرنى هذا السادات .. لقد عينته وزير دولة لكنه لايحضر اجتماعات مجلس الوزراء . عينته فى مجلس الثورة ولكنه لايحضر اجتماعات مجلس الثورة وصباح كل جمعة يصحب زوجته الى بورسعيد للنزهة .. السادات هذا سينتظر الى ان نموت جميعا .. ثم يخلفنا هو..

عدت الى « أخبار اليوم » فى المساء ، فقلت للسادات : أنا كنت عند عبد الناصر ، وقال لى كذا وكذا ، فلابد ان تحضر اجتماعات مجلس الوزراء ، وتحضر كل اجتماعات مجلس الثورة ، وتنشط ، وفوجئت بالسادات يقول :

— لأ .. دى ثورة جمال عبد الناصر .. وهو يفعل مايشاء ، وأنا ماليش دعوة .

تمهل هنا مصطفى امين ، وتوقف عن الحديث ، شأنه عندما ينتهى عند نقطة حاسمة من الموضوع .

« المهم .. شاءت الظروف ان أنيس منصور يكتب ويقول أنه سأل السادات عن هذه الواقعة ، وان السادات أكدها له حرفيا وان السادات سأل أنيس منصور عمن اخبره بهذه الواقعة . والغريب ان أنيس منصور قال له ان السفير الروسى هو الذى حكى له الواقعة . وفى الواقع انا لم التق بالسفير الروسى ، ولم أقص عليه الواقعة ، ولكن ربما حكيتها

لأحد الأشخاص ، وهذا بدوره حكاها للسفير الروسى ، بالطبع هذه الواقعة خطيرة فى رأيى ، و يشاء القدر ان يكون لها شهود » .

و يرن جرس التليفون ، وتنتهى المكالمة ، و يعود مصطفى أمين الى التذكر.

كســـول جـــدا

« التقيت بالسادات بعد ذلك كثيرا ، حتى عين رئيسا لجريدة « الجمهورية الجديدة » وكان عبد الناصر يتصل بى عند منتصف الليل و يسألنى :

— أنت فى مكتبك ؟

وأقول له :

— نعـــم ..

فيقول بدهشة :

— الله .. أمال أنور السادات مش قاعد فى مكتبه ليه ؟

ثم يتصل بأنور السادات فى اليوم التالى و يوبخه :

— مصطفى أمين فى مكتبه لغاية الساعة اتناشر مساء ، وأنت المسؤول عن « الجمهورية » مابتروحش الجمهورية !

طبعا صار هناك مايشبه العقدة ، فى أحد الأيام طلبنى عبد الناصر لمقابلته ، وقال لى :

— خذ « الجمهورية » خدها باعلاناتها وفلوسها ، أحنا

صرفنا عليها فى سنة مليون جنيه ومافيش فايده ..

فقلت لــه :

ــ لازم اتشاور مع اخى .

وعــدت الى المـرحـوم على أمين ، واشــتـرك مـعـنـا الدكـتـورسيد أبوالنجا فى بحث الموضوع . و بعد البحث توصلنا الى قـرار وهـو ان « الجـمـهـور يـة » ستغرق « أخبار اليوم » . واتصلت بعبدالناصر ــ صاحب الفكرة ــ واعتذرت . ثم ذهبت الى أنوالسادات ، وحكيت له ماجرى ، وفوجئت به يقول لى :

ــ ليه ماخدتهاش .. ماتأخذها وتريحنى ..

و بعـدمـا صـدر قرار باعفائه من رئاسة جر يدة « الجمهور ية » ، ذهبت اليه لأواسيه ، واذا بى أجده فى منتهى الفرح ، دهشت . تذكرت انه عندما خرج من الوزارة وذهبت اليه وجدته فرحان لأنه خرج من الوزارة . ولما خرج من المؤتمر الاسلامى وذهبت اليه لأواسيه وجدته سعيدا جدا . عمرى ماوجدته غاضبا أوحز ينا . أى مسؤولية كانت تؤخذ منه أويفصل منها كأنه عين فيها ، وكان يضيق عندما يصدر قرار باسناد مسؤلية اليه » .

و يتابع مصطفى أمين :

« المعروف عنه أنه كان كسولا جدا ، ولا يحب العمل ،

وبرنامج حياته اليومى يؤكد ذلك ، من استيقاظ فى ساعة متأخرة ، والانتهاء من المقابلات ومسؤوليات الدولة فى الثانية ظهرا ، ثم ممارسة المشى ، ورؤية الأفلام القديمة » .

يبتسم مصطفى أمين ثم يواصل :

الحجـرة المشـؤومـة

« بعدما اصبح السادات رئيسا للجمهورية ، قابل الامير طلال . الأمير طلال سأله :

— ما رأيك فى موضوع مصطفى أمين ؟

قال للأمير طلال :

— مصطفى أمين برئ مائة فى المائة ..

وسرعان ما جاء الى الامير طلال فى السجن وقص على ما جرى . ثم التقى سعيد فريحة صاحب « دار الصياد » بالسادات ، ولم يكلمه سعيد فريحه بشأنى ، ولكن السادات قال له فى نهاية المقابلة :

— أنا أعرف يا سعيد ان مصطفى أمين برئ تماما ، برئ مائة فى المائة ..

فقال سعيد فريحة :

— أنا كنت اريد ان اتحدث اليك فى هذا الموضوع ولكننى خفت ومضت أيام عديدة ولم يفرج عنى .

ثم عاد الامير طلال مرة أخرى ، والتقى بالسادات ، وأكد له السادات انه سيفرج عنى ، ولكن لم يتم الافراج . ثم التقت

أم كلثوم بالسادات ، فقال لها انه سيفرج عني بعد الحرب بعد المعركة . وأرسلت أم كلثوم الى تخبرني بذلك . فأنا تصورت انه يضحك عليها ، لأن الحرب كانت تبدو بعيدة الوقوع قبل أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم بدأت الحرب ، وانتهت بعدها جاءني موسى صبري واخبرني ان الرئيس اتصل به وانه سيفرج عني غدا ، وانني من الممكن ان اكتب مقالا للنشر في اليوم التالي ، و بالفعل كتبت مقالا ، ونشر ، وتم الافراج عني ، ثم ذهبت اليه مع شقيقي المرحوم علي أمين في استراحته في الهرم لأشكره ، وقال لي انه كان ينوي الافراج عني منذ ثلاث سنوات ، وانه وقع قرارا يقضي بالافراج عني بالفعل ، وأرسله الى النائب العام ، لكن بعدما وقعت القرار ، جاءني صديق لك .

وهنا قال مصطفى أمين :

— مش حقول أسمه .

قال لي صديقك هذا ان مصطفى أمين يعقد في السجن يوميا اجتماعات مع علي صبري وسامي شرف ، وانهم يعدون كتابا اسود عنك . وسألت نفسي : ما الذي يجمع الشامي والمغربي ؟ لكن بخبرتي بالسجن كنت اعرف ان هناك ناسا تحدث لهم تحولات غير متوقعة في السجن . ولا بد ان مصطفى أمين جرى له مس . ورفعت سماعة التليفون واتصلت بالنائب العام ، وطلبت منه وقف القرار .

ثم قال السادات انه استدعى ممدوح سالم وزير الداخلية بعد شهرين وقال له : ما هذه الفوضى فى السجون ، كيف يجتمع مصطفى أمين وعلى صبرى وسامى شرف يوميا وانت لاتدرى ؟ وهنا قال ممدوح سالم : ياسيادة الرئيس ان مصطفى أمين مسجون فى ليمان طرة ، وسامى شرف وعلى صبرى فى سجن مزرعة طرة والمسافة بينهما ستة أميال والاتصال مستحيل .

ثم قال السادات لى انه عاد فقرر الافراج عنى ، ولكنه فوجئ بأن هذا الشخص جاء مرة اخرى وقال : ان السفير الروسى نما الى علمه قرار الافراج عن مصطفى أمين ، وانه قال ان ذلك فى مايبدو تم بالاتفاق مع أمريكا وان الاتحاد السوفياتى كان قد وعد ببعض النوعيات الحديثة من الأسلحة ، لكن فى حالة الافراج عن مصطفى أمين فلن يتم الوفاء بهذه الوعود . وهنا قال السادات ان الحاجة الى الاسلحة أهم بكثير ، وليظل مصطفى أمين فى السجن ، المدهش ان الشخص الذى كذب فى المرة الأولى هو نفس الشخص الذى قال هذه الواقعة فى المرة الثانية . .

أنا أشك ان السفير الروسى قال هذا ، خاصة وان الذى كذب فى المرة الأولى ، من الممكن ان يكذب فى المرة الثانية .

طبعا ضقت من هذا ، كيف يقول الرئيس اننى برئ ، وسعيد فريحة كتب هذا فى جريدة « الأنوار» ؟ كيف صدق السادات بسرعة كل مايقال له ، ولاشك ان هذا من عيوبه ، ان يصدق بسرعة كل مايقال له ، وألا يتحقق من الأمر نفسه .

قلت له : اننى من الممكن ان أبدا عملى على الفور . .

قال : اذن . . اذهب الى « أخبار اليوم » . . واجلس فى حجرتى .

فسألت بدهشة :

— حجرتك . . أى حجرة ؟

فقال : انه حدث عام ١٩٦٩ ان أصدر الرئيس عبد الناصر قرارا بأن أشرف على « أخبار اليوم » ، وذهبت بالفعل ، و بدأت أبحث عن حجرة لأمارس من خلالها نشاطى ، ولكن المحررين حذرونى بشدة :

— اياك وهذه الحجرة . . احذر ان تجلس فيها . . انها غرفة نحس !

« . . قال أنور السادات : حذرنى المحررون من الجلوس فى هذه الحجرة . قالوا انها حجرة نحس . لم يدخلها شخص الا وعزل . كان فيها مصطفى أمين وجرى له ماجرى ، ثم جاء كمال الحناوى وخرج منها معزولا ، ثم جاء هيكل وخرج ، ثم جاء خالد محيى الدين ، ثم كمال الدين رفعت وعزل ، ثم محمود أمين العالم وعزل .

قال أنور السادات انه سيجلس فى الحجرة ، ولكنه سيجرى تعديلا بسيطا . كان المكتب الى اليسار ، فنقله الى اليمين ، وجلس فى الحجرة ، وخرج منها الى رئاسة الجمهورية . وقال السادات

للمحررين : ان هذه الحجرة ستظل لى حتى اتم مدتى فى رئاسة الجمهورية وأعود اليها ، قال السادات :

— اذهب انت ، خذ الحجرة ، حتى أعود اليها ..

بعد ذلك بمدة استدعانى الى القناطر ..

رئاسة التحرير مرة أخرى

فى استراحة القناطر قال لى السادات :

— أنا قررت ان تكون رئيسا لمجلس ادارة « أخبار اليوم » وان تعود اليك كل السلطات التى كانت لك وانت صاحب « أخبار اليوم » ، حتى تعود « أخبار اليوم » الى سابق مجدها .

قلت : والله أنا قررت بعد خروجى من السجن ألا أتولى منصبا ، وأنا مستعد ان اعمل تحت رئاسة أحسان عبد القدوس .

قال : لا .. أحسان غاوى يكتب روايات ، أنا سوف اقيله من رئاسة مجلس الادارة ، انه لا يصلح ..

اذن سأعمل تحت رئاسة أى انسان فى « أخبار اليوم » .

قال : لا .. مستحيل ..

قلت : أنا لا يمكن اصبح رئيسا لمجلس الادارة ..

قال : اذن اما انت واما على ..

قلت : اذن .. على ..

قال : وانت رئيس تحر ير « أخبار اليوم » .

قلت : لايمكن .. لن أقبل أى منصب ..

قال : لا بد .. لانقاش فى هذا .

قلت : اذن سأقبل لمدة سنة ..

وافق ، ثم اقترحت ان يكون موسى صبرى نائبا لرئيس مجلس الادارة ، فوافق ، واقترحت عودة جلال الحمامصى رئيسا للتحر ير فقال ان دماغه ناشفة وسوف يسبب لك متاعب . والححت عليه لكنه وافق . وعدت الى دار « أخبار اليوم » و بدأت العمل بالفعل . عملت كأحد رؤساء تحر ير الأخبار ايضا ، وادخلت الى الأخبار صفحة جديدة بعنوان « رأى الشعب » و بابا جديدا فى « أخبار اليوم » بعنوان « عز يزتى أخبار اليوم » وشاع مناخ فيه درجة من الحر ية .

قبل ذلك هناك حادثة مهمة جدا .

الرقابـــــــة

عندما صدر قرار بتعيين المرحوم على أمين مديرا لتحر ير « الاهرام » ذهبنا الى السادات ، وسأله عما ير يد ، فقال المرحوم على أمين :

ــ لى مطلب واحد هو الغاء الرقابة على الصحف ..

ودهش السادات :

ــ انت اول رئيس تحر ير يطلب الغاء الرقابة ..

وأصر المرحوم على أمين على مطلبه . وفورا امسك السادات بورقة وقلم ، وكتب قرارا بالغاء الرقابة ، اعطاني الورقة ، وطلب مني ان أوصلها الى عبدالقادر حاتم ، نائب رئيس الوزراء ووزير الاعلام ، وذهبنا الى الدكتور حاتم .

قال : لابد انكم ترافعتم ساعات .

فقلنا له : أبدا .. لم يستغرق الأمر سوى دقيقة واحدة .

بعد حوالى اسبوعين ، جاءني مراسل اجنبي وشكا من الرقابة المفروضة على المراسلين الأجانب ، وقال ان بعضهم يسافر الى تل أبيب وبيروت و يرسل من هناك مايشاء ، بعد خروجه من مكتبي ، اتصلت تليفونيا بالسادات ، وأخبرته بما قاله لي المراسل ، واقتنع . طلب مني ان اذهب الى الدكتور حاتم ، واخبره بالغاء الرقابة على المراسلين الأجانب ، وهنا قلت له ان كلامي سيكون شفويا ، وهذا لايصلح ، لكنه قال : ان صدور القرار سيستغرق وقتا ، من هنا يبدو حرصه على سرعة اصدار القرار .

و يتوقف مصطفى أمين لحظات ثم يقول :

« الحقيقة انني لا ادعي بطولة ، ولا ادعي انني ترافعت ساعات ، من أجل الغاء الرقابة ، وهذا يدل على ان

السادات لوكان محاطا فى السنوات الأخيرة ببطانة تحب الحرية والديموقراطية ، ربما كانت قد اثرت فيه ، وما كان جرى له ما جرى » .

التعذيب والأحـــزاب

« كتبت عن التعذيب واتصل بى السادات ، وطلب منى الا أكتب عن التعذيب ، وقال إننى جئت أضمد الجروح لا لأفتح الجروح ..

قلت له : ان الكتابة عن التعذيب تخيف الذين يعذبون الناس . اننا ننقذ بذلك أرواحا . واستمررت فى الكتابة عن التعذيب ثم كتبت عن الاخوان المسلمين وماجرى لهم ، واتصل بى السادات وطلب منى الا اكتب عن الاخوان ، وقلت له ان الاخوان كانوا معى فى السجن ، وقد رأيت ما جرى لهم ، واستمررت فى الكتابة عن التعذيب والاخوان . وقد كنت مقتنعاً بانه يجب الافراج عن جميع المسجونين السياسين مهما كانت أراؤهم .

ثم كتبت عن ضرورة عودة الأحزاب ، وتحول المنابر الى أحزاب ، وغضب ، واتصل بى وقال : ان ذلك ليس مناسبا الآن للواقع فى مصر ، واستمررت فى الكتابة عن ضرورة تحول المنابر الى أحزاب .

ثم كتب الدكتور نعمان خليل مقالا فى صفحة « رأى الشعب » يطالب فيها بمحاكمة رئيس الجمهورية أنورالسادات .

واتصل بى السادات ثائرا وغاضبا ..

وللحقيقة والتاريخ انه وجه الى اثنى عشر انذارا ، وكنت أكتب ما أراه .

كان يغضب احيانا من كتابات بعض المحررين ، وكنت أحاول التخفيف ، أقوم بدور امتصاص الغضب ، وطوال عمرى لم أبلغ أى محرر بغضب رئيس الدولة ، لأن غضب رئيس الدولة على محرر يعنى حرمانه من العمل ، وحرمانه من لقمة العيش ، والأهم هو اهتزاز القلم فى يده ، وتعميق الخوف فى نفسه ، وكثيرا ما اتصل بى الرئيس عبدالناصر وابدى بعض الملاحظات تجاه كتابات معينة . كذلك السادات . لكننى حرصت دائما على الا ابلغ أى محرر بملاحظات رئيس الدولة عليه ، دائما على الا ابلغ أى محرر بملاحظات رئيس الدولة عليه ، وفى نفس الوقت كنت اخفف وقع هذه الكتابات عند الرئيس » .

وبعد ان يقدم مصطفى امين هذا السلوك العملى الذى يتضمن اخلاق العمل الصحفى ، والفروسية ، النبالة التى يتحلى بها صحافى كبير ، يواصل التذكر : « حدث فى وزارة الدكتورعبدالعزيزحجازى ان اشتدت نبرة النقد من جانب الصحف ، واستدعانا الرئيس السادات الى اجتماع فى سرايا رأس التين . التقى بنا ، وكان غاضبا ، قال : ان الوزراء لا يعرفون

كيف يواصلون عملهم فى ظل هذا النقد الشديد ، ومعظم النقد كلام فارغ ، وانتقد ما ينشر ، أغلب الموجودين صمتوا ، واعتقدوا ان الحرية انتهت ، يومها وقفت وقلت : اننا نشكر الرئيس السادات لأنه يعاتب الصحافة ، ومعنى ذلك انه لا يستطيع ان يعاقب الصحافة ، ومعنى ذلك انه من حق رئيس الجمهورية ان يهاجم الصحافة ، ومن حق الصحافة أن تنتقد . بعد الاجتماع اصطحبنى الرئيس السادات الى حجرة جانبية وقال لى : « عملت طيب بما قلته ، لقد احرجنى الدكتور حجازى وقال انه منزعج جدا مما يوجه اليه من نقد ، وماقلته كلام صحيح » . خرجت من هذا الاجتماع ، وضعت فكرة كاريكاتير مشهور عن شخص ادعى انه مات لكى يغسلوه بالصابون ، كانت هناك أزمة صابون وقتئذ . استمررت فى النقد ، وكان يتحدث باستمرار مبديا غضبه واستياءه . وفى احد الأيام جاءنى المهندس عثمان أحمد عثمان ، وقال لى : ان الرئيس يحبك و يقدرك ، وهو يريد منك ان تهاجم حزب الوفد .

قلت لعثمان : اننى لا استطيع ان اهاجم الوفد لأنه لم يبد منه مايستحق الهجوم ، ثم اننى أرحب بقيام احزاب جديدة الى جانب حزب الوفد .

قال عثمان : ان الرئيس يريد ان يقابلك .

قلت له : ليس هناك ضرورة لمقابلة الرئيس ،

فليس لى طلبات ، ولكن يسعدنى ان التقى به ..

ثم قال : اذن هاجم فؤاد سراج الدين ..

وقلت : انه ليس هناك ضرورة لمهاجمته ، لأنه لم يعمل شيئا يستحق عليه الهجوم ..

و بعد فترة جاءنى احد الاصدقاء قال لى : ان الرئيس يقول انه اذا لم يهاجم مصطفى أمين فؤاد سراج الدين فسوف اصدر قرارا بفصله . لماذا كان مصطفى أمين يهاجم الوفد فى الماضى ، ولا يهاجمه الآن ؟

قلت : اننى لا أرضخ للتهديد . واذا كان الرئيس ير يد ان يفصلنى فليفصلنى ..

بعد ثلا ثة ايام ابلغت بان الرئيس امر بان يظهر فى الصفحة الآولى من الأخبار برواز يعلن انه ابتداء من الغد سيكتب مصطفى أمين ويهاجم الوفد فى سلسلة مقالات .. قلت : لا مانع عندى فى ان تكتبوا هذا البرواز .. لكن انا لن اكتب .

وغضب السادات غضبا شديدا ، ثم جاءونى بعد ذلك ، وطلبوا منى ان انشر الكتاب الأسود الذى اصدره مكرم عبيد ضد الوفد فى الأر بعينات ، ورفضت ان انشره .

وعندئذ ارسل الى الرئيس يتساءل : لماذا كان مصطفى أمين يهاجم الوفد زمان ، والآن لا يهاجمه ؟

قلت لهم : اننى اعتقد ان الصحافة فروسية ، اننى اهاجم الرجل وهو يمتطى جواده ، لكن اذا سقط من فوقه فلن اهاجمه ،

لأنـنـى لـوحـاربـتـه فستكون نذالة صحفية ، زمان كنت احارب الـوفـد وكـان لديه اربع عشرة جريدة يرد على ، لكننى لا احارب شـخـصـا أوحـزبـا مـنزوع السلاح ، الأمر الآخر ، اننى اعتقد ان الهـجوم على حزب معارضة يزيده قوة ، الأمر اشبه بالمسمار ، تدق عـلـيه فـيـزداد مـتانة ، واذا تركته يقع ، ثم انكم تطلبون منى نشر الـكـتـاب الأسود ، فى الكتاب الأسود نجد مآخذ على حزب الوفد مـن نـوع أن مـوظـفـا كان فى الدرجة السادسة حصل على الدرجة الخـامـسـة ، مـكـرم عـبـيـد تحـدث عـن زوجة النحاس باشا التى اشـتـرت فـروا بمـائـة وأربعين جنيها . عند نشر هذا الكلام الآن ، سـيـقـوم الـناس بعقد مقارنة ، وستعطى فرصة للحديث عن زوجة رئـيـس الجـمهورية . قلت لهم : ان هذه الحملة المطلوب شنها على فـؤاد سـراج الـديـن والـنـحـاس ستخدمهما ، ولن تنال منهما . قلت لهـم : انـنـى خـبير فى الصحافة ، واذا أراد رئيس الجمهورية تنظيم حمـلـة مـن هـذا الـنـوع فـلـيـرسـل الى و يأخذ رأيى كخبير ، ولكن لا يعطينى أوامر . ان أكبر اهانة للكاتب ان يتلقى امرا بالكتابة فى موضوع معين ، قلت لهم : لقد عملت مع جمال عبدالناصر ، وطوال عـمـره لم يـصـدر الى امـرا ، أبـدا ، كـان يـقـص الواقعة أوالحدث و يـتـرك لـى الحـرية فى الاختيار . وكثيرا ما اختلفت معه ، وعلى سبيل المثال كان يريدنى ان أؤيد احكام الاعدام التى اصدرتها محكمـة الـثـورة ، ولم اقبل تأييد احكام الاعدام . كذلك عملت مع الـنـحـاس ومـع أحمـد مـاهر ومع النقراشى ومع الملك فاروق ، ولم يحـدث أن أحـدهـم طـلـب منى الكتابة فى موضوع معين ، اذا قبل الـكـاتـب هذا الوضع فأنه يصير « كاتبا عموميا » مثل هؤلاء الذين

يجلسون امام المحاكم . للأسف كان الرئيس السادات يظن أن الصحافة حصة املاء ، هويملى ونحن نكتب .

الهجـــــوم

عندما نقلوا رأيي الى الرئيس السادات ابدى ارتياحه له ، وقال : ان هذا رأى عاقل . وسكت . بعد فترة رفع اليه تقر ير يقول ان فؤاد سراج الدين طامع فى رئاسة الجمهور ية . عندئذ ثار السادات ، و بدأ الاستاذ موسى صبرى نشر سلسلة مقالات يهاجم فيها فؤاد سراج الدين . وجاءت الحملة الصحفية بأثر عكسى تماما . وازدادت شعبية فؤاد سررج الدين . ثار الرئيس ، وقال : ان مصطفى أمين هو السبب . لوانه هاجم فؤاد سراج الدين لما حدث ذلك ، بينما رأيي بعكس ذلك ، اذ اننى لوهاجمته لتضاعفت شعبيته ، ونزل الرئيس السادات الى الميدان ، وراح يخطب فى كل مناسبة مهاجما الوفد ، وفؤاد سراج الدين ، وقال فى احدى الخطب : ان مصطفى أمين كتب مرحبا بالوفد ، نعم .. لقد كتب مرحبا بالوفد ، ومرحبا بكل حزب : بحزب لليسار ، لليمين ، بأى حزب . أنا لست شيوعيا ، ورأيى ان الشيوعيين يجب أن يكون لهم حزب ، وتكون لهم جر يدة ناطقة باسمهم علنا حتى يتعرف الناس على حقيقة أفكارهم ، وهذا رأيى ، وأنا أنادى به طوال عمرى ، ولن اغيره أبدا . وقد كنت وأنا صاحب « أخبار اليوم » اطبع جر يدة « الملايين » وكانت لسان حال

الشيوعيين فى مطابع « أخبار اليوم » وكنت اطبع جريدة « الجمهور المصرى » فى مطابع « أخبار اليوم » وهى تشتمنى كل اسبوع !

الصحافى الوزير

كان الرئيس السادات يقول : ان مصطفى أمين كان يضرب الباب برجله و يدخل على الوزير. وكان السادات يريد للصحافى ان يقف خارج غرفة مكتب الوزير. يعنى ذلك ان يصبح الصحافى ساعيا . أى مكانة بين السعاة والفراشين الواقفين على الباب !

اننى طوال عمرى لم اضرب بقدمى مكتبا لوزير ، ولكننى كنت اعتقد أن الشعب لابد ان يعلم ، واننى مندوب هذا الشعب ، ادخل على الوزير واسأله ، أنا لست متسولا ، ولا مستجديا ، انما مندوب للشعب ، وهذا هو خلافى مع ثورة يوليو، فبعض زعماء الثورة يريد للصحافيين ان يصبحوا آلات ، ان يقف الصحفى للوزير يعظمه وهو داخل ، و يعظمه وهو خارج .

استمر الموقف متوترا ، حتى اعلن الرئيس السادات عن تشكيل الحزب الوطنى ولاحظت ان اعضاء مجلس الشعب من حزب مصر انضموا كلهم الى الحزب الجديد مرة واحدة .

وكتبت فكرة قلت فيها :

كنت اتمنى لو ان اعضاء مجلس الشعب لم يهرولوا الى

الانضمام الى حزب الرئيس السادات الجديد . كنت اتمنى لو انهم انتظروا حتى أعلن السادات برنامج الحزب وبحثوه ودرسوه ثم اقتنعوا به ، و بعد ذلك قرروا الانضمام .. كنت اتمنى لوانهم انتظروا حتى يتألف الحزب فعلا !

كنت اتمنى لوان اعضاء مجلس الشعب ذهبوا أولا الى دوائرهم الانتخابية ، وتحدثوا الى الناخبين الذين انتخبوهم ، عن رغبتهم فى تغيير لونهم الحزبى الذى حملوه فى المعركة الانتخابية .. و بعد ان يحصلوا على تأييد ناخبيهم يعلنون انضمامهم الى الحزب الجديد .

وكانت التقاليد البرلمانية الحقيقية تقضى بانه اذا استقال نائب من الحزب الذى انتخب على اساسه ، ان يستقيل من مجلس الشعب ، و يتقدم من جديد الى دائرة الانتخابية ، فى انتخابات فرعية ، فأما ان تنتخبه الدائرة فيبقى عضوا فى المجلس ، أوتخذله الدائرة وتنتخب النائب الذى تر يده .

وعذر هؤلاء النواب الذين هرولوا ، انهم لم ينتخبوا على مبادئ حزب معين ، بل انتخبوا بصفتهم الشخصية ، و بعضهم غير رداءه بعد ان نال حزب مصر الأغلبية ، فأصبح حكوميا بعد ان انتخب معارضا ، أواصبح مواليا بعد ان نال ما نال من الأصوات باعتباره مستقلا .

ونحن نخطو خطواتنا الأولى فى طريق الديموقراطية يجب ان نحاول ان نضع تقاليد جديدة ، ويحسن عندما نعدل الدستور ان ننص فيه على مبادئه ان يستقيل و يتقدم الى انتخابات فرعية جديدة .
عندما اعلن الرئيس السادات انه سيؤلف حزبا ، فزع بعض الناس ، وتصوروا ان رياسة رئيس الجمهورية للحزب الوطنى الديموقراطى سوف تجعل الحزب ذاتا مصونة لا تمس ، فلا ينتقد ، ولا يهاجم ، ولا يعارض .. وكان من رأيى ان هذه المخاوف لا أساس لها ، وأن الشعب المصرى ليس شعبا جبانا كما يتوهم هؤلاء الخائفون ، وانه مادمنا قد حطمنا السلاسل والاغلال التى تقيد هذا الشعب ، فانه قادر ان يبدى رأيه بغير خوف ولا تردد واننا دائما سنجد الرجال الشجعان الذين يقولون رأيهم بغير أن ترتجف الكلمات فى شفاههم .

وقد تحقق صدق نظرى ، فان ابراهيم شكرى وزير استصلاح الأراضى ورئيس حزب العمل الاشتراكى بعث ببرقية الى سعد محمد أحمد وزير القوى العاملة ، ورئيس اتحاد عمال مصر ، قال فيها ان النقابة العامة لعمال النقل اعلنت انها و بعض لجانها ستتبرع بمبلغ ١٨ ألف جنيه للحزب الوطنى الديموقراطى ، وان هذا التبرع يعتبر مخالفة للقوانين

والعرف ، وهو عدم انفاق أموال النقابات على أهداف بعيدة عن أغراض النقابة .

لم يخف ابراهيم شكرى ، ولم يرتعش ! ولم يتردد ، لأن رئيس الحزب هو رئيس الجمهورية وهو وزير فى الوزارة ..

وهذه هى روح الديموقراطية التى نرحب بها ..

وانهيت الفكرة بقولى :

« صباح الخير .. ايتها الديموقراطية ! »

كل ماقلته هو

« لم يقرأ الاعضاء برنامج الحزب الجديد ، ولا أهدافه ، ولكنهم انضموا اليه لمجرد ان الحزب الجديد هو حزب رئيس الجمهورية . الأمر الثانى ان اتحاد العمال تبرع بمبلغ خمسة وثلاثين الف من الجنيهات للحزب الجديد ، بينما قانون الاتحاد يمنعه من التبرع للأحزاب . قرأ الرئيس السادات ما كتبت وغضب ، وفى هذه المرة ترجم غضبه الى اجراء عملى . منعنى من الكتابة فى جميع صحف ومجلات أخبار اليوم !

مليـــون احتجـــاج

بعد يومين اتصلت بى السيدة چيهان السادات وقالت لى :

— طبعا انت غير حزين ، لقد اصبحت بطلا فى مصر ،

وصارت لك شعبية .. الرئيس عملك بطل .. والناس كلها تتكلم عنك ..

ثم جمع الرئيس السادات اعضاء الحزب الوطنى من رجال الاعلام فى ميت أبوالكوم ، وقال لهم : « تصوروا .. فيه هبالة سياسية فى البلد . تصوروا انه جاءنى مليون خطاب أحتجاج على وقف مصطفى أمين » . بعض الأعضاء أرادوا تخفيف الوقع عليه فقالوا له : « باريس .. انهم انصار العهد البائد » فقال لهم : « أبدا .. ان معظمهم شباب وطلبة وتلاميذ صغار .. » . ثم عاد ليقول : شوفوا الهبالة .. لازم تبينوا للناس ان مصطفى أمين ده كان بيه ». قام صلاح جلال وقال له ان وقف مصطفى أمين أحدث أشياء فى البلد . عندئذ خبط بيده المنضدة وقال له : « انت ماتنفعش تكون عضو الحزب ، أنا عايز اعضاء فيهم صلابة » .

ثم خطب فى أحد مؤتمرات الحزب ، وقال : ان مصطفى أمين منع من الكتابة ، ولكنه يتقاضى مرتبه . وقال : أنه فى سنة ١٩٧٠ كان أولادى فى القوات المسلحة نائمين فى العراء ، وكان هو يتمتع بالمياه الدافئة ، والمياه الباردة ، ونسى الرئيس السادات اننى كنت سنة ١٩٧٠ فى السجن . والحقيقة ان السادات خدمنى بهذا الهجوم . فعندما يهاجم رئيس الدولة أحد الصحافيين ، فأنه يعمق شعبيته لدى القراء .

واستمر منعى من الكتابة .

أى ديموقراطيـــة ؟

« ..لم يتوقف رد الفعل بعد منعى من الكتابة . حدث ان الرئيس السادات سافر الى أمريكا . وهناك عقد مؤتمرا صحفيا ، وبدأ يتحدث عن الديموقراطية والمناخ الديموقراطى فى مصر . احدى المحررات قالت له: « أى ديموقراطية اذا كان مصطفى أمين ممنوعا من الكتابة ؟ » . قال : ان هذا شئ صغير وثانوى ، انما المناخ الديموقراطى موجود . ثم سافر الى المغرب وعقد مؤتمرا صحفيا ، وتحدث أيضا عن الديموقراطية ، فسأله أحد الصحافيين : « لماذا تمنع مصطفى أمين من الكتابة ؟ » فقال لهم : ان هذه مسألة فرعية . ثم استقل الطائرة عائدا الى القاهرة . ومن المعروف انه يجلس فى الطائرة مع زوجته فى قمرة خاصة ، أما الصحافيون فيجلسون فى الخلف ، فجأة فتحت السيدة چيهان الباب ، وقالت للصحافيين :

— عندى خبر جيد لكم ..

تساءلوا عن الخبر ؟

قالت : الرئيس قرر دعوة مصطفى أمين الى فرح جمال ابننا ، وانه ارسل تلكس من الطائرة بالفعل ، وجاء تلكس ان مصطفى أمين تسلم الدعوة .

ومعنى هذه الدعوة ان الرئيس قرر عودة مصطفى أمين إلى الكتابه .

نزل الصحافيون فى مطار القاهرة ، وجاءونى الى مكتبى ، دخلوا على فرحين ، قالوا : مبروك ! قلت لهم : مبروك .. مبروك لماذا ؟ قالوا لى بدهشة : ألم تصلك دعوة بحضور فرح جمال السادات ؟ قلت : نعم وصلت . قالوا ان ذلك يعنى انك ستكتب ، السيدة جيهان ابلغتنا بذلك . قلت : لا .. الرئيس شتمنى فى زفة ، وهو الآن يحاول مصالحتى فى حارة ، لا .. أنا لن اذهب الى الفرح ولن ألبى الدعوة .

الفـــــرح

تساءل اصدقائى الصحافيون وزملائى الذين جاءونى مهنئين :

ــ كيف .. كيف سترفض الدعوة للفرح ؟

قلت لهم : ان منع صحافى من الكتابة معناه قطع لسانه . ومن رأيى ان الرجل المقطوع اللسان لا يذهب الى الافراح لتقديم التهانى !

قلت لهم : ان الناس الذين سيروننى فى الفرح سيقولون : انظروا .. لقد هاجمه الرئيس هجوما شديدا ، وبمجرد ان اشار اليه راح يجرى اليه .. لا ، اننى لن اقبل الدعوة .

قالوا : اذن ارسل باقة ورد ..

قلت : سيقول الناس ، انظروا لقد هاجمه الرئيس وسبه وهاهو يرسل اليه الورود عند اول اشارة .

قالوا : اذن .. ارسل برقية اعتذر .. قل انك مريض ..

قلت : أنا لا أكــذب .

قالوا : اذن .. هناك حل ..

قلت : ما هو؟

قالوا : الفرح فى الساعة السابعة .. الا تجئ الى مكتبك بعد الظهر ..

قلت : لا .. أنا اعتدت ان أجئ الى مكتبى فى « أخبار اليوم » منذ الخامسة حتى الثامنة والنصف .

وبالفعل ذهبت الى مكتبى فى ميعادى المحدد ، ثم نزلت ، وذهبت الى بيتى . ارتديت بيجامتى وبدأت أتناول عشائى استعدادا للنوم . فى هذه الأثناء وفى حديقة منزل الرئيس السادات ، تساءل هو: أين مصطفى أمين ؟

رد عليه بعض الأصدقاء بجمل مختلفة كان الغرض منها تجنيبى الحرج . ولكنه صاح ، وطلب من الاستاذ موسى صبرى ، والاستاذ أحمد رجب ان يذهبا فى عربة

مـن عـر بـات الـرئـاسة الى بيتى وان يعودا بصحبتى الى الـفـرح . قـال انـه ارسـل الى دعـوة لـكـى يـقـول لـى « اكتب » .

جاءانى فى البيت ، واخبرانى ان الرئيس السادات يطلب منى استئناف الكتابة فـوراً .

نظرت فى الساعة . قلت لهما ان الوقت متأخر ، وانه لايمـكـننى الكتابة الآن . كل ما يمكن عمله هو ان ينشر مـربـع فى « الأخـبـار » غـدا يـعـلـن عـن عـودتـى لاستئناف « فكرة » .

و بـالـفـعـل اتـصـل الاسـتـاذ مـوسـى صـبـرى فى « الأخـبـار » وطـلـب نشر هـذا الاعـلان فى الـصـفـحـة الأولى عن عودة « فكرة » .

ارتـديت ملابسى ، واصطحبت زوجتى الى الفرح ، ودخـلـت ، وصـافـحـت الـرئـيس ، وقال لي : مبروك . وصـافحتنى السيدة جيهان والسيد حسنى مبارك والسيد ممـدوح سـالم ، قـبـلـنـى المهندس سيد مرعى وذهبت الى منـضـدة فى الحـديـقـة ، وفـوجـئـت ان عـددا كبيرا من المـدعـو ين جـاءوا لـيصافحونى ، و يتحدثوا معى ! فقد جـاءت الـسـيـدة جيهـان السادات وجلست الى مائدتنا تاركة مائدة الرئيس ! .

نفـــس الأفكـــــــــــار..

كـتـبـت فى فـكـرة أقـول اننى أعود الى الكتابة ، واننى مؤمن بـنـفس الأفكار التى عبرت عنها من قبل ، الحر ية ، الد يمقراطية ،

وهـنـا يتوقف مصطفى أمين للحظات ، وأتطلع اليه متسائلا ، اذ يـبدو انه يتأهب للعودة الى مرحلة زمنية سابقة ، وقبل أن أسأله استرسل هو..

« حـدث قـبـل ذلـك أزمـة أذكر تفاصيلها ، بعد خروجى من السجن لم أفكر على الاطلاق فى رفع قضية ضد من قاموا بتعذيبى ، لم أفكر فى الانتقام ، وفوجئت بوز ير العدل يتصل بى و يسألنى ..

ــ هل تعرف محاميا اسمه عبد الحليم رمضان ؟

قلت :

ــ لا .. لم أسمع عنه ، ولا أعرفه ..

قال وز ير العدل :

ــ عـبد الحليم رمضان قدم بلاغا ، مضمونه ان من يسمع بجريمة ولم يـبلغ عنها فانه يعاقب على ذلك طبقا لقانون العقو بات ، وقـد قـرأت كـتـاب سـنـة أولى سـجـن ، وقرأت عن جرائم تعذيب وحشية جرت ، ولذلك فاننى أتقدم بهذا البلاغ .

بـعد فترة اتصل بى النائب العام ، وأخطرنى بان البلاغ الذى قدمه عبد الحليم رمضان قد أخذ مجرى التحقيق .

طلبني رئيس النيابة ، وسألني ، وأجبته بوقائع التعذيب ، وذكرت الشهود ، واستدعت النيابة الشهود ، وشهدوا بانني قد عذبت ، فوجئت بعد ذلك بالسيدة جيهان السادات تتصل بى وتقول :

ـ أنا سوف أعمل لك شعبية ضخمة جدا .. ألا تر يد أن يصبح لك شعبية كبيرة ؟؟

قلت :

ـ أظن انني لا أر يد هذه الشعبية :

قالت :

ـ لا .. أنا سأعمل لك شعبية ..

قلت :

ـ كيف ؟

قالت : تنازل عن القضية

ـ لكنني أنا لم أرفع القضية .. ولست صاحب الحق فى التنازل عنها .. من الممكن أن أتنازل عن حقى ، ولكنني لا أستطيع أن أتنازل عن حقوق مئات الناس الذين عذبوا ، ثم أن القضية فى المحكمة ..

ثم بدأ نظر القضية ، وفوجئت بثلا ثة محامين فى المحكمة ، قالوا انهم فى قلم قضايا الحكومة ، وانهم جاءوا للمرافعة ضد مصطفى أمين ، لأن مصطفى أمين سيطلب تعو يضا من الحكومة ، ونحن جئنا للترافع حتى لا تدفع الحكومة تعو يضا ، عندئذ قلت

للمحكمة ، انني لن أطالب بتعويض مالى ، وقال رئيس المحكمة ، اذن فلا مكان لكم ، وانسحبوا .

ثم اتصل بى الرئس السادات ، قال لى ان الاجهزة لا تستطيع أن تعمل ، و يقول رجالها ، ان صلاح نصر اذا كان يحاكم فهذا ينشر شعور بالخوف ، وقال الرئيس السادات أن اهم شيىء عنده هو أمن الدولة ، أنا سأصدر قرارا باعتبارى رئيسا للجمهورية بحفظ الدعوى ، قلت له أن لى رأى آخر فى الموضوع ، ولكننى أود أن أقول افعل ماتشاء مادمت ترى أن ذلك فى مصلحة البلد .

استمر نظر الدعوى ، وصدر الحكم ضد صلاح نصر بعشر سنوات سجن ، وثار الرئيس السادات ، قال ان مصطفى أمين وعدنى أن يتنازل عن القضية ، مصطفى أمين لم يف بوعده ، الحكم على صلاح نصر سيكون له أثر سيىء على أجهزة الأمن .

وهنا يتوقف مصطفى أمين لحظة .. تبدو على وجهة علامات الدهشة ..

« الحقيقة أنا لم أعد الرئيس السادات ، ولم أقل له هذا . ولم أكن أملك ، ذهبت الى السيد ممدوح سالم وكان رئيسا للوزراء قلت له أن الرئيس غاضب ، لأنني — كما يقول — وعدت بالتنازل عن القضية ، الحقيقة اننى لم أقدم القضية ، ولم أعد الرئيس ، قال لى ممدوح سالم ، ان الرئيس السادات اتصل بى أنا وأبدى رغبته فى حفظ القضية ، و بالتالى اتصلت أنا بوزير العدل ، عادل يونس وكتب الوزير مذكرة من ثمانية صفحات ،

يقول فيها أن الطلب غير دستورى ، وانه لايجوز لرئيس الجمهورية أن يتقدم بسحب القضية بعد أن قطعت هذا الشوط كله فى المحكمة ، قال ممدوح سالم انه ارسل هذه المذكرة الى السيد الرئيس ولكن يبدو انه لم يقرأها .. عندئذ قلت للسيد ممدوح سالم ، أرجو أن تبلغ الرئيس بذلك حتى يهدأ .

العدالـــة الالهيـــة ..

و يواصل مصطفى أمين ..

« .. بعد ذلك أمر الرئيس السادات ببقاء صلاح نصر فى مستشفى السجن ، ثم أفرج عنه ، والواقع اننى لم أشعر بأى رغبة فى الانتقام ، ان ايمانى بالله كبير ، وايمانى بعدالة الله لا يضارعه شيىء .

أشار مصطفى أمين الى الصحف التى كانت تحمل فى صباح ذلك اليوم نبأ وفاة صلاح نصر ..

« اليوم مات صلاح نصر ، وأقسم لك اننى لم أشعر بأى شماته ، ولم أكتب كلمة ، ولم أشعر بأى ضغينة ، لقد انصفنى القضاء ، وانتهى الأمر ، وهنا أود أن أقول سراً خطيراً ان معلوماتى الشخصية تؤكد أن الجماعات الاسلامية اتخذت قرارها بقتل الرئيس السادات بعد أن نما الى علمها انه تم الافراج فى شهر أغسطس الماضى صدر قرار سرى بالافراج عن اكبر الذين اتهموا فى قضايا التعذيب ، لم ينشر هذا القرار ، ولكن الجماعات الاسلامية علموا به ، لقد رأيت أفراد الجماعات الاسلامية فى

السجن وهم يناقشون المرحوم حسن الهضيبي ، كانوا يطالبون بالثأر، وكان هو يعترض ، كان أحدهم قد مر بتجربة قاسية اذ انهم احضروا زوجته فى السجن الحربى ، وجردوها من ثيابها ، واعتدى عليها أحد الجنود أمامه ، وعلى مرأى منه ، هذا الرجل أصبح تعيسا جدا ، فيما بعد خرج من السجن وأسس احدى الجماعات العنيفة ، المتطرفة ، هذا مايجعلنى أقاوم دائما عمليات التعذيب ، ان التعذيب يولد دائما الثأر.

بعد الخامس من سبتمبر المشهور فى العام الماضى ، والذى اعتقل فيه أكثر من الف وخمسمائة شخص ، اجتمع بعض أعضاء الجماعات الاسلامية ، وقالوا أن معنى الافراج عن الذين قاموا بالتعذيب ، انه يضمر النية فى الاستعانة بهم وأن نية التعذيب موجودة ، ومن هنا اتخذوا القرار الذى أدى الى اغتياله .

كان هناك العديد من الأزمات بينى و بين الرئيس ...

الحفـــــــــر..

« .. كتبت فى فكرة ، انه فى أوروبا اذا وقع أحد الاشخاص فى حفرة فى الطريق فانه يرفع قضية ضد الحكومة ، وطالبت كل مواطن فى مصر يقع فى حفره أن يرفع قضية ضد الحكومة .

واذا بالرئيس السادات يرسل برقية من أسوان ، يطلب فيها من السيد النائب حسنى مبارك التنبيه على مصطفى أمين بعدم الكتابة عن الحفر والمطبات !

مرة أخرى كتبت فيها أقول ان مرتب الطبال الآن أكبر من مرتب استاذ فى الجامعة ، واتصل بى المهندس عثمان أحمد عثمان ، قال أن الرئيس السادات غاضب جدا ، وانه ثائر ، بسبب ذلك ..

استمر الوضع هكذا ...

وفى أخبار اليوم كانوا ينشرون قائمة بتبرعات ليلة القدر ، كان النشر كالآتى : « تلقى مصطفى أمين مبلغ كذا .. تبرعا لليلة القدر» . وأبدى الرئيس السادات استياؤه ، قال : هل مصطفى أمين رئيس للوزارة حتى يتلقى تبرعات ؟ » وأمر بمنع نشر اسمى ، وأصبح النشر الآتى » تبرع فلان بمبلغ كذا لليلة القدر» ..

ثم صدر قرار آخر بعدم ذكر « ليلة القدر» . فيكون النشر عن التبرع فقط ، لكن لماذا ، ولأى غرض ، ممنوع ..

وكان الناس يبدون الشكوى ، كانوا يقولون لى ، لقد تبرعنا لليلة القدر ، لماذا لمَ يذكر الغرض من التبرع ؟ وكنت أقول لهم ، هناك قرار بمنع نشر اسم « ليلة القدر.. »

.. من جهة أخرى كنت أكتب قصة طويلة فى أخبار اليوم « لا » ، جاءنى الاستاذ موسى صبرى ، وقال ان الرئيس أمر بوقف القصة ، وطلب منى أن أنهيها ، ورفضت أن انهى القصة ، قلت له أن الرئيس أصدر أمرا بقتل القصة ، ولكنه لم يصدر أمرار بتشويه الجثة ، أنا لا أستطيع أن أشوه عملى الفنى ، اقترح

الاستاذ موسى صبرى أن نكتب « تمت » ولكننى رفضت ، واذا حدث اصرار على وقف القصة بهذا الشكل فاننى سوف أعقد مؤتمرا صحفيا أشرح فيه الحقيقة .

كانت القصة تدور حول وقائع تزوير الانتخابات أيام اسماعيل صدقى ، وكيف قاوم الشعب هذا التزوير، القصة كتبتها فى السجن ، أى منذ عدة سنوات سابقة على نشرها ، وأعدت كمسلسل اذاعى ، وصدرت فى كتاب ، وقدمت كفيلم سينمائى ، بل أكثر من ذلك انه بعد منعها من أخبار اليوم أعيدت اذاعتها من اذاعة الشرق الأوسط لمدة ثلاثين يوما .

دكتاتـــــــــور

كتبت بعد ذلك فكرة عن الدكتاتور سوموزا حاكم نيكاراجوا ، قلت فيها :

طغى و بغى واستبد .. فرض الصمت على أمه باسرها .. كل تليفون مراقب .. كل حديث مسجل .. وراء كل باب اذن تسمع .. قطع ألسنة المعارضين .. كمم الأفواه .. داس بقدميه على حقوق الانسان ..

وتصور سوموزا انه سيحكم دولة نيكاراجوا الى الأبد ، فاذا منع الدستور هذا الغى الدستور، واذا وقف محام يقول ان الاحرار يرفضون حياة العبيد ، اختفى المحامى ولم يعرف أحد هل هو ميت يرثى أو مسجون يرجى الافراج عنه .

وسوموزا هو ثالث حاكم فى اسرته التى استمرت تحكم ٤٣

عـامـا بـغير انـقـطاع .. ولهذا توهم الديكتاتور ان الدنيا دانت له ، وأنـه وضـع قـدمـه فوق عنق الشعب فلا يستطيع أن يتحرك ، وانه جـرده من كل قوة فلا يتستطيع أن ينقض على الطاغية ، واستعان بحـرس خـاص مـؤلـف مـن الـقـتلة ، والمجرمين والسفاكين وقطاع الـطرق .. مهمتهم التخلص من المعارضين ، وتأديب المشاكسين ، واسكات المخالفين ..

واحـنـى الجميع رؤوسهم خوفا وذعرا ، ولكن صحفيا واحدا رفـض أن يـسـكـت ورفـض أن يخـاف ، ورفـض أن يحـنـى رأسه للـطـغـيـان ، وأرسـل الـديـكـتاتور يهدده و يتوعده ولكن الصحفى مضى يكتب ، ووضعه الديكتاتور فى السجن ، وخرج من السجن لـيـكـتـب ، وعاد الديكتاتور يضعه مرة أخرى فى السجن ، وخرج الصحفى للمرة الثانية وعاد يعارض من جديد .

عـنـدئـذ ارسـل الـيـه الديكتاتور بعض ضباطه فقتلوه ، وتصور الـديـكـتـاتور انه أسكت آخر صوت يرتفع واذا بهذا الحادث يؤدى الى انفجار الشعب فى نيكاراجوا .

و بـدل أن يحـمـل المـواطـنـون الأقـلام ليهـاجموا الطاغية حملوا الـبنادق والرشاشات ، وأصبحت زوجة الصحفى عضوا فى مجلس قـيـادة الثورة ، وكانت تحمل مدفعها الرشاش ، وتمشى فى مقدمة الثوار .

ان الـديـكـتـاتـور أسكت قلما ولكنه انطق شعبا .. ولم تستطع كـل قـوات الطاغية أن تـسكـت الشعب الغاضب .. انه حطم قلما

واحدا .. ولكنه لم يستطع أن يحطم أمة بأسرها وانتصر الشعب وانكسر الطاغية .. والنصر للحرية دائما ..

أحدهم اتصل بالرئيس السادات ، وقال له أن مصطفى أمين كتب عن قصة لا أساس لها من الصحة لمجرد أن يهاجمك .

وأمسك الرئيس السادات بالجريدة ، وقرأ « فكرة » وما أن فرغ منها حتى القى بالصحيفة الى السيدة جيهان ، وقال لها ، شوفي مصطفى أمين ومايكتبه فى الأخبار. ضدى ! انا المقصود بهذا المقال .

ثم صدر قرار بمنعى من كتابة الموقف السياسى فى أخبار اليوم .

لم يخطرنى أحد ، ولكننى صباح السبت فتحت الجريدة ، ولم أجد مقالى ، انما وجدت مقالا آخر .

لم يتصل بى أى انسان ليخطرنى بمنعى ..

لحسن الحظ انه فى اليوم التالى مباشرة ، وفى الصفحة الرابعة بجريدة الاهرام ، تنشر قصة هذا الصحفى نقلا عن وكالات الانباء ، على أربعة أعمدة ، وحديث مع زوجة الصحفى التى أصبحت وزيرة فى حكومة الثورة ، وجدت من واجبى أن أرسل هذا النص الى الرئيس السادات ، ولكن الرئيس لم يقرأ الاهرام ، فى نفس الوقت لم يجرؤا أحد المحيطين به على اخباره أن القصة حقيقة ، وأن مصطفى أمين لم يلفقها و ولم يخترعها ، ومات الرئيس السادات وهو يعتقد اننى اخترعت القصة .

و يتوقف مصطفى أمين للحظات .

وأجد نفسي أعلق على ماسمعت ، ان هذه التفاصيل تعكس بوضوح مدى حرص كاتب كبير يحترم نفسه على حريته ، وحرية قلمه .

فى مواجهة سلطة تريد لأصحاب الأقلام أن يكتبوا ماتريده .
ويمضى مصطفى أمين الذى حرص طوال الحديث عن الرئيس السادات أن يقص وقائع تاريخية مجردة ، وبحيدة تامة والايدع الانفعال فرصة للتحكم فى عواطفه ، وعلى أن يؤكد باستمرار انه يقص ماروواه لنا من أجل التاريخ فقط ، بدون أى نية مسبقة قد يفهم منها انه يهاجم الرئيس السادات ، أو يحاول النيل منه .

جـــــــان دارك !!!

يقول مصطفى أمين :

« .. أعتقدت دائما اننى حائز على رخصة قيادة ، عندما الغى الرئيس السادات الرقابة ، اعتبرت ذلك بمثابة رخصة قيادة ، اذن هل تكون لدى رخصة و يصدر قرار بمنعى من القيادة ؟

.. يتوقف مصطفى أمين ليلتمس بعض الراحة ، وأجد الفرصة لأذكره عقب أحداث يناير ١٩٧٧ ، عندما كتب فى الموقف السياسى لأخبار اليوم ، مشبها ماقامت به الحكومة من رفع للأسعار وكأنه بمثابة سكب البنزين تمهيدا لاشعال الموقف .

وتتألق عينى مصطفى أمين بحيوية مفاجأة ، و يستأنف التذكر :

« .. عندما وقعت حوادث ١٨ ، ١٩ يناير ، حاولت أجهزة الامن أن تصورها على انها عصابات ، وانها ثورة مدبرة ، كلمنى الرئيس السادات تليفونيا ، وكان ثائرا جدا ، وكلمتنى السيدة جيهان السادات ، كانت ثائرة جدا ، قالت انها استمعت الى سبها بأذنيها ، وانها مثل القديسة الفرنسية جان دارك ، خدمت مصر ، وأخيرا ير يدون حرقها .

أنا كان لى رأى ، لم تكن هذه الحركة انتفاضة حرامية كما وصفها الرئيس السادات ، ولكن اذا استرجعنا الأيام السابقة عليها سنجد أن الصحف كانت تتحدث باستمرار عن تثبيت الأسعار ، وعن الرخاء ، واعتقد الناس أن الأسعار ستخفض .

واذا بالشعب يفاجأ برفع الأسعار ، اذن فان ماجرى فى يناير كان غضبة من الناس احتجاجا على رفع الأسعار والخطأ جاء أساسا من الحكومة ، لكن الرئيس السادات كان مقتنعا بالرأى البوليسى ، اعتبر ما جرى حركة مدبرة .

وهنا أذكر أننى مشيت من أخبار اليوم الى بولاق ، حتى امبابة ، ورأيت بعينى أن هذه الحركة شعبية تماما ، وتحرك نابع من الشعب ، ربما حاول البعض استغلالها فيما بعد ، ولكن ماجرى كان أكبر من كل القوى السياسية فى مصر .

كتبت فيما بعد أن بعض الناس سيقولون ان ماجرى بسبب الديمقراطية ، وقلت ان اصلاح الموقف يكون بمزيد من الديموقراطية ، وليس بتضييق فرص الديموقراطية .

الرئيس السادات لم يعجبه هذا الكلام ، واتصل بى ، وتحدث عن الدمار الذى وقع ، ومنع عربات الاطفاء من الوصول الى الحرائق ، واحداث أخرى مشابهة .

وكان من رأيى كرجل يعيش فى الشارع المصرى ، أن هذه حركة شعبية ، وأن بعض اعداء النظام ربما حاولوا دفعة لاتخاذ اجراءات غير ديمقراطية ، بحيث تحدث ردة ، كنت متخوفا من ذلك ، خاصة وأن لصوص المدينة ، راحوا يضغطون عليه و يصورون له الأمر ان ماجرى كان نتيجة الديموقراطية .

كان الرئيس السادات الذى أعرفه من قبل ، يحتمل المناقشة ، الى درجة اننى اتصلت به فى احدى المرات لمدة ساعة ورحت أحدثه عن ضرورة أن يصبح اختيار رئيس الجمهورية بالانتخاب وليس بالاستفتاء ، صحيح انه لم يقتنع برأيى ، ولكنه احتملنى .

بعد ذلك لم يعد السادات كما عرفته ، أصبح لا يطيق المناقشة ، أقنعوه انه فى خطر وأصبح يتصرف دفاعا عن نفسه ، وكان يعتقد أن أى كلمة مقصود بها النظام ، وكان رأيى أن النظام الذى يهتز من طوبة يكون نظاما ضعيفا للغاية ، وكان من رأيى أن النظام قوى ، ولكن الخوف هو الذى جعل النظام يتهاوى ، والذى قضى عليه هم أصحاب النظام نفسه نتيجة لجبنهم وهلعهم ، وخوفهم من الديموقراطية ، كان من رأيى أن القبض على الناس بالمئات .. وضعهم فى المعتقلات ، سيؤدى الى نتائج خطيرة جدا .

كان من رأيي أيضا ، أن الجيش يجب الا ينزل الى الشارع لقمع المظاهرات ، كان من رأيي أن تظل المسألة محصورة فى اطار البوليس فقط ، وأن نزول الجيش أمر خطير .

عندما ينزل الجيش الى الشارع يصبح من الصعب اعادته الى الثكنات ، ولكن الفريق أول محمد الجمسى تصرف بحكمة بالغة ، ولم تطل مدة بقاء الجيش فى الشارع الا لساعات .

كانت آرائى هذه بداية الصدام الحقيقى مع الرئيس السادات ..

الكتابة فى الخارج

.. وهنا ذكرت عميد الصحافة العربية بأزمة الكتابة فى الصحف العربية وماترتب عليها من اجراءات :

« آه .. تلك قصة أخرى ، ماحدث أن محمد حافظ الصحفى السعودى كان تلميذى فى كلية الآداب المصرية ، عندما كنت أدرس فى الصحافة ، وكنت أتوسم فيه الذكاء ، وأرى انه سيكون له مستقبل ، وكان والده صديقى ، وعندما قرروا اصدار « الشرق الأوسط » عرضوا علينا المشروع ، وتحمسنا له جدا ، وكانت فكرتى أنا وأخى المرحوم على أمين أن تصدر لهم طبعة فى القاهرة ، تعاقدوا معى على نقل فكرة ، ورحبت بذلك ، لأنه من رأيى أن الكاتب العربى يجب أن يكون مثل الكاتب الأجنبى ، أى ينشر مقاله فى عدة صحف و بدأ نشر فكرة فى الشرق الأوسط ، وكانت مختلفة عن فكرة فى الأخبار .

غضب الرئيس السادات مما يكتب فى الشرق الأوسط وطلب التوقف عن النشر ، لكنني رفضت .

ثم ابلغنى عن طريق السيدة جيهان السادات برغبته فى توقفى عن النشر ، كان يعتقد أن الامير فهد أقسم على أن يصرف آخر مليم عنده للقضاء على أنور السادات ، وان جريدة الشرق الأوسط هدفها القضاء على أنور السادات ، ولديه معلومات انها منتشرة بسبب اننى أكتب فيها .

قلت للسيدة جيهان أن معلومات الرئيس خاطئة ، أولا لأن جريدة الشرق الأوسط لا يصدرها الأمير فهد ، ثانيا لانه ليس من سياستها القضاء على أنور السادات ، ثالثا . أنا رأيى انه لو توقفت عن الكتابة فيها فسيستمر انتشارها ، وانه من الأفضل أن يستمر الكتاب المصريين فى الكتابة بجميع الصحف ، ان الجيش المصرى لم يصل الى المحيط الأطلسى أو الخليج العربى ، ولكن الكاتب المصرى، والموسيقى المصرى وصوت أم كلثوم وعبد الوهاب ، وصل هذا كله الى سائر أرجاء الوطن العربى ، وهذا التراث حصاد عشرات السنين ، وملك للامة العربية كلها ، واذا سحبنا الكتاب المصريين من الصحف العربية فتلك جريمة ضد مصر وضد العالم العربى .

ولم يقتنع الرئيس السادات .

عاد يطلب منى التوقف عن الكتابة فى الشرق الأوسط . .

قلت بصراحة ، انه من امنياتى قبل أن أموت ، أن أكتب مقالة ، وأن تنشر كاملة بدون حذف ، وعندما اكتب فى الشرق

الأوسط لا يحذف سطر واحد ، انها أمنية حياتى وأحققها ، اننى لا أستطيع التوقف .

قالوا لى ان الرئيس سيمنعك

قلت انها ليست المرة الأولى ، وانه فى كل مرة يقف الله الى جانبى ، ثم جمع الرئيس السادات الصحفيين ، قال لهم ، ان من يكتب فى الصحف المصرية يجب الا يكتب فى أى صحيفة عربية .

كنت مقصودا بهذا الكلام

بالطبع أخبار اليوم والاخبار بالنسبة لى مثل أولادى ، وكان من الصعب أن أهجر الصحف التى بنيتها بعرقى وعمرى ، كتبت فى فكرة أقول اننى اخترت الكتابة لمصر ، وفى مصر .

وعندما أخطرت الاستاذ موسى صبرى بقرارى ، اتصل بالرئيس تليفونيا أمامى ، وأبلغه باننى سأكتب فى مصر ولمصر ، وعندئذ قال له الرئيس السادات ، كيف ؟ لقد علمت أن السعودية قدمت له سيارة رولزرو يس ، فقال له ان هذا غير صحيح .

وفى الواقع اننى لم احصل على سيارة رولزرو يس أو غيرها ، لكن تفسيرى لذلك ، ان هشام على حافظ ، دعانى مرة للعشاء فى لندن ، وعند انصرافى الى الفندق ، ركبت سيارة رولزرو يس خاصة بالنادى كانت معدة لتوصيل الضيوف ، يبدو ان أحدهم

رآني في السيارة فكتب تقريرا يقول انهم اشتروا لمصطفى أمين سيارة رولزرو يس .

والواقع انني ركبت الرولزرو يس مرة واحدة في حياتي .. هي هذه المرة .. وهذا يدلك على قيمة التقارير، ومدى صحتها ..

تحـــــــــــــدى

« انقطعت عن الكتابة في الخارج ، و بعد تشكيل المجلس الأعلى للصحافة تقرر أن أي صحفي يريد الكتابة في الخارج عليه أن يستأذن أولا .. وشعرت برغبة في التحدى ..

حدث وقتئذ أن رئيس تحرير جريدة الانباء الكويتية أبدى رغبته في نشر فكرة ، وافقت بدون تردد .

وحصل اعتراض في مصر، لماذا ؟ ، لان « فكرة » التي كانت تنشر في الكويت كانت تنشر بدون حذف ، فكان يبدو الأصل المقيد، والنص الحر.

وكتبت في الاخبار مرحبا بأي صحيفة تريد أن تنقل فكرة ..

و يتوقف مصطفى أمين للحظات .. »

ثم ينتقل للحديث عن الماضي القريب ، و يتحدث عن تفاصيل تنشر لأول مرة ..

.. انا غـــــول

يقول مصطفى أمين ..

« فى أغسطس الماضى جاءنى أحد المسئولين ، وقال لى أن الرئيس السادات ينوى اعتقال عدد محدود جدا من الشيوعيين والوفديين ، والناصريين ، والاخوان المسلمين ، وان هذا العدد سيكون فى حدود ثلا ثين شخصا .

قلت للمسئول : أرجوك أن تقول للرئيس السادات أن هتلر خسر الحرب عندما حارب فى جبهتين مختلفتين .

وأنا من رأيى أنه سيخسر فى هذه الحركة ، ثانيا ، اعتقد اننى خبير فى الصحافة الأمريكية ، والأوروبية ، وأعتقد انه برغم شعبيته الكبيرة فى أمريكا ، فسوف يواجه بهجوم كبير جدا هناك ، لانه فيه تمثال هناك للرئيس السادات ، ولكن قاعدة التمثال اساسها انه يتحدث عن الديموقراطية ، وأنهى المعتقلات ، فاذا نزعت هذه القاعدة سيسقط التمثال .

ذهب المسئول ورجع الى ليقول و ان الرئيس السادات قال ، قل لمصطفى أمين ، انا غول اننى أعرف أمريكا وأوروبا أحسن منه ألف مرة ، وهو لايعرف شعبيتى فى هذه البلاد . ولن تجرؤ جريدة واحدة على مهاجمتى . »

وجاء ٥ سبتمبر ، وفوجئت أن عدد المعتقلين ألف وخمسمائة شخص ورأيت أن هذه كارثة ، كارثة .

قلت لمحسن محمد ولاحمد رجب ان تجربتى تؤكد لى ان السادات قد انتهى .

ذكرت هنا مصطفى أمين بتلك الأيام السوداء ، عندما كان يتصل بى يوميا ليقول لى :

ــ انت لم تعتقل بعد .. وأنا أيضا ..

كان مصطفى أمين يتوقع اعتقاله بين لحظة وأخرى ..

يقول عميد الصحافة العربية :

« نعم .. نعم .. لقد دهشت عندما لم أجد نفسى بين المعتقلين ، وحتى الآن لم أدر من الذى رفع أسمى من كشوف المعتقلين ، ثم حدث أن فوجىء الرئيس السادات بالهجوم العنيف عليه فى الغرب ، لم يتصور أبدا أن جريدة واحدة ستهاجمه ، الى درجة انه فقد اعصابة وقال لمراسل أجنبى ، أنا سأضربك بالرصاص .

أنا صاحب فكرة عقد المؤتمر الصحفى الذى تحدث الى الصحفيين ، ليشرح أن هذا الاعتقال مؤقت . وأن المعتقلين سيخرجون بعد أيام .

بعد أيام جاءنى أحد المسئولين ، وقال لى أن الرئيس السادات يقول : لقد انتصرنا ، تساءلت : كيف ؟ ، فقال لى ان الرئيس السادات يقول ان الناس نسيت المعتقلين وانشغلت بهموم الحياة اليومية ، بلقمة الخبز ، قلت : كيف هذا ؟ ان البواب فى البيت يكلمنى ، السائق يكلمنى ، فى أخبار اليوم السعاة يكلموننى ، المحررين يكلموننى .. قال المسئول ، انه مامن وزير

أو مسئول واحد يتحدث الى الرئيس فى الموضوع ، قلت كيف ؟ انهم ألف وخمسمائة ، كل منهم له أسرة ، يعنى العديد من الآلاف ، قال لى المسئول ، أبدا .. لقد هدأت الأمور .. والتقارير تؤكد أن الناس نسيت هذا الموضوع واصبحت مشغوله بأمر معيشتها !

اتصلت باحمد رجب ، قلت له يبدو اننى أصبحت معوقا سياسيا ، يبدو اننى تقدمت فى السن الى الحد الذى لاأفهم فيه مايجرى ، وسردت على أحمد رجب ماجرى ، فقال لى انه يتفق معى فى الرأى وأن القضية تشغل الرأى العام بشكل أساسى .

ثم جاءنى فى أحد الأيام صحفى قديم كان يعمل فى أخبار اليوم ، قال لى انه كان فى محاولة لزيارة لسجن طره ، وقال ان المسجونين السياسيين فى حالة سيئة جدا ، وانه ذهب مع زوجة المحامى الوفدى ابراهيم طلعت والتى أخذت معها دواء لزوجها ، وزجاجة كولونيا ، ولكن الضابط رفض استلام الدواء وقال انها يمكن أن تترك لزوجها زجاجة الكولونيا فى مكتبه ، وكلما احتاج الى (بخة) من الزجاجة يجيىء و يطلبها ، سمعت هذا الكلام ، وانقبضت كان ذلك فى الثامنة مساء ، عدت الى البيت ، تناولت العشاء ، ازداد شعورى بالانقباض ، بدأت أشعر بالاعياء الشديد ، دخلت الى السرير ، وجثمت الدنيا فوق أنفاسى . وشعرت كأني أموت .

جاء الطبيب فى منتصف الليل ، وأمرنى أن الزم الفراش ، وألا اتصل بالتليفون ، وألا أقوم بأى مجهود ، وأن امتنع عن

الكتابة ، لقد أصبت بذبحة صدرية . وقلت للطبيب اننى ملتزم بجميع ماطلبه منى فيما عدا شيىء واحد ..

كان ذلك فى ٤ اكتوبر ١٩٨١

وفى يوم ٦ أكتوبر اغتيل السادات .. اننى أيدته وحاربته .

أيداتة فى ألغاء الديكتاتورية وفى الافراج عن المسجونين السياسين فى الغاء التعذيب وفى اخراج الخبراء السوفيت من مصر وفى اعادة اسم مصر إليها فى قراره بحرب ٦ أكتوبر وفى الغائه الرقابه على الصحف والكتب ، وفى الغاء الحراسات ، وفى فتح ابواب مصر امام المبعدين وفى أول انتخابات حرة تمت بعد قيام الثورة وهى التى اجرها ممدوح سالم ثم حاربته من أجل الديموقراطية .

الفالوجا

الزمان : ١٩٤٨ ، أثناء حرب فلسطين ، حاصر الصهاينة قوة من الجيش المصرى فى منطقة الفالوجة ، انقطعت الامدادات ، و بدأ الشعب كله يتتبع أخبار هؤلاء المقاتلين المحاصرين باهتمام شديد .

فى أحد الأيام ..

رن التليفون فى مكتبى ، طلبنى الفريق محمد حيدر باشا وزير الحربية فى ذلك الوقت ، قال لى انه تلقى اشارة غربية من المحاصرين فى الفالوجة يطلبون فيها من أم كلثوم ، أن تغنى لهم فى حفلتها الشهرية يوم الخميس القادم أغنية «غلبت أصالح فى روحى» .

قال لى الفريق حيدر، انه لا يعرف أم كلثوم شخصيا ، ورجانى أن أتحدث اليها لاننى صديقها .

وعلى الفور، رفعت سماعة التليفون ، واتصلت بأم كلثوم ، وحدثتها عن طلب المقاتلين .

قالت لى أم كلثوم انها وعدت أم الملك غازى ملك العراق بأغنية فى الوصلة الأولى ، و وعدت اميرة عربية اخرى بأغنية فى الوصلة الثانية ، و وعدت أميرة مصرية بأغنية فى الوصلة الثالثة ، ولكن بما أن المحاصرين فى الفالوجة طلبوا اغنية منى ، فسوف ألغى طلب الأميرة المصرية وأغنى لهم فى الوصلة الثالثة .

قمت بابلاغ الفريق حيدر بذلك، وليلة الحفلة، غنت « غلبت اصالح فى روحى » وأجادت فيها وكأنها تغنى لعدة ملوك، ولم تكتف بذلك فقط بل انها غنت أيضا « أنا فى انتظارك » ..

انتهى حصار الفالوجة، وعاد الأبطال الى مصر، وقابلهم الشعب مقابلة حماسية كبيرة، و بعد عودتهم التقوا بوزير الحربية الفريق حيدر باشا، قال لهم : اطلبوا ماتشاؤا .. لقد أديتم أعمالا بطولية تستحقون عليها كل ماتطلبونه .

وطلبوا مقابلة أم كلثوم ليشكروها على استجابتها لهم .

اللقاء الثانـــــــى

مرة اخرى اتصل بى الفريق حيدر.
ومرة اخرى اتصلت بأم كلثوم .

قالت لى انها لم تقم حفلا كبيرا طوال حياتها فى بيتها، ولكنها من أجلهم ستقيم لهم حفلة شاى، وستدعو فيها كل العسكريين الذين حوضروا فى الفالوجة، ومدنى واحد فقط هو .. أنا ..

وتحدد ميعاد الحفلة فى منزل أم كلثوم، وصلت قبل الموعد بدقيقة أو دقيقتين، فوجئت بمنزل أم كلثوم مزدحما بالضباط، وكلهم ملتفين حول أم كلثوم، عند الباب قابلنى ابراهيم بغدادى ـــ الذى أصبح فيما بعد محافظا لكفر الشيخ وصافحنى، ثم اصطحبنى الى منضدة يجلس عليها ضابط واحد فقط، ثم التفت الى قائلا :

ـ الصاغ جمال عبد الناصر ..

في هذه اللحظة وقعت عيناي على عبد الناصر لأول مرة ..

أثناء جلوسي قلت ..

ـ أنا مصطفى أمين ..

فقال ضاحكا :

ـ وكيف لا أعرفك .. ان كل نقودى انفقها على صحفك ..

لقد كنا فى الفالوجة نرسل بأحد رجالنا ليخترق الحصار و يعود الينا بأخبار اليوم ..

بالطبع سررت جدا ، ثم بدأت الحفلة ، و بدأ بعض الضباط يلقون بأزجال ومواو يل فيها سخر ية من بعضهم ، ولاحظت ملاحظه غر بية ، قلتها له ..

ـ انت الوحيد الذى لا يذكرك أحد فى هذه الأزجال ..

قال باختصار ..

ـ أنا لا أحب الحاجات دى ..

ثم تحدثنا عن الحالة الحاضرة ، وان الدستور غير محترم ، وان مستقبل مصر يحتم تغيير الحالة ، وانه لابد من توفر ديمقراطية حقيقة ، وتحدث عن الأخطاء التى وقعت خلال حرب فلسطين ، وكان فى حديثه لهجة مرارة شديدة مما حدث .

ثم سألته عن السبب الذى جعلهم يطلبون أغنية أم كلثوم .

فقال لى : انهم كانوا جالسين فى احدى ليالى الحصار ، عندما قال أحد الضباط ، ياسلام .. لونطلب من أم كلثوم ان تغنى لنا غلبت أصالح فى روحى يوم الخميس القادم .. ، فقال أحدهم : وهل هذا معقول .. لابد أن وزراء عديدين طلبوا منها أن تغنى لهم ، واذا طلبنا نحن .. فهل يذكرنا أحد ؟ .

و يضحك مصطفى أمين ..

لم يعلموا ان الملوك كانوا يطلبون أيضا ..

قال جمال عبد الناصر لهم ، ان أم كلثوم فلاحة مصرية صميمة ، وانها ستشعر بنا كما نشعر بها ، ورأى أن يرسلوا اليها ، بالفعل أرسلوا البرقية ، ولم يجيىء رد عليهم ، مع أن حيدر باشا اخبرنى انه سيرد عليهم ، انتظروا يوم الحفلة ، فتحوا الراديو، فاذا بأم كلثوم تغنى فى الوصلة الأولى الأغنية التى طلبوها ، وفى الوصلة الثالثة أغنية أنا فى انتظارك .

قال جمال عبد الناصر ، ان هذا أحدث اثرا معنويا كبيرا فى جميع الرجال ، وقررنا أن نطلب مقابلتها عند انتهاء الحصار..

كان ذلك لقائى الأول جمال عبد الناصر ، فى بيت أم

كلثوم . واذا كانت الحوادث تستدعى بعضها ، فاننى سأرحل مع الزمن الى مابعد الثورة بقليل ..

اهدمـــوا الهـــرم

بعد قيام الثورة عام ١٩٥٢ .. اتصلت بى أم كلثوم ، وقالت لى ، أن مجلس قيادة الثورة أصدر أمرا بمنع أغانيها من الاذاعة .

قلت لها : هذا مستحيل ..

قالت لى : لا .. أنا واثقة ، كان مجلس قيادة الثورة قد قرر تطهير نقابة المهن الموسيقية ، واجتمع مجلس النقابة وقرر تطهيرى ، الصوت الوحيد الذى وقف معى هو محمد القصبجى ..

وذهبت الى جمال عبد الناصر .

كان مكتبه فى مقر قيادة مجلس الثورة فى الجزيرة ، قلت له :

ــ انتم اصدرتم قرارا بمنع أم كلثوم من الاذاعة ..

قال على الفور . . .

ــ هل بدأ التشنيع على الثورة

قلت له :

ــ لا .. اننى أذكر لك ان هذا القرار صحيح .

وهنا ضغط الجرس ، وطلب شخصا معينا ، أحد الضباط ، كنت أظنه عضوا من مجلس قيادة الثورة ،

وكان يوحى لنا بذلك ، لن أذكر لك اسمه
دخل هـذا الضابط ، ودق الأرض بقدمه ، ورفع يده بالتحية ..

قال جمال عبد الناصر :

ـ هل أصدرت قرارا بمنع أم كلثوم من الاذاعة ، واخراجها من نقابة الموسيقيين . ؟

قال :

ـ أيوه ياأفندم ..

وسأله عبد الناصر :

ـ لم ؟

قال :

ـ لانها مطربة العهد السابق ..

قال جمال عبد الناصر :

ـ اذن .. اذهبوا لتهدموا الهرم ، لانه بنى فى عهد بائد .. واذا كان عندكم وقت .. اردموا النيل لانه كان فى العهد البائد .. ثم تبدلت لهجته المتهكمة الى لهجة غاضبة ، حاسمة :

ـ فورا .. ترجع أم كلثوم الى الاذاعة ... وفورا ترجع الى نقابة المهن الموسيقية .. وضرب الضابط الأرض بقدمه ..

ـ حاضر ياأفندم ..

بعد أن خرج قلت لعبد الناصر :

ــ عرفت اذن اننى لا أشنع على الثورة . .

قال .

ــ لا . . نحن الذين نشنع عليها . .

خرجت من مكتب عبد الناصر ، واتصلت بام كلثوم اقص عليها ماجرى ، فقالت ضاحكة . .

ــ ان صوتى الآن فى هذه اللحظة يتردد من الراديو . .

و يضحك مصطفى أمين ، يقول لى : تصور . . تم الأمر بسرعة ، فى دقائق . . قلت لأم كلثوم :

ــ اذن . . ارجعى النقابة . .

قالت لى :

ــ أبدا . . هذه النقابة لن ارجع اليها أبدا ، النقابة التى فصلتنى بالاجماع ماعدا صوت واحد لن ادخلها بعد اليوم . .

أزمـــة مــــارس

فى سنة ١٩٥٤ ، اتخذت صحف أخبار اليوم موقفا الى جانب استمرار الثورة ، أى الى جانب جمال عبد الناصر .

و يتذكر مصطفى أمين خبايا هذه الفترة الحاسمة . .

وفى سنة ١٩٥٤ ، استدعانا أحد رجال الثورة ، أنا وأخى المرحوم على أمين . . سألنا :

ــ هل انتم رجال ؟

قلنا له :

ـــ نعم .. نحن رجال ..

قال :

ـــ اذن .. لماذا لا تكتبوا وتطالبوا باعدام فؤاد سراج الدين ..

قلنا له :

ـــ لايمكن لكاتب أن يطالب باعدام انسان لم يحاكم ولم توجه اليه تهمه ..

وهنا سألت مصطفى أمين عن شخصية رجل الثورة هذا ، ولكنه اعتذر، اذ أن الرجل يمر الآن بأزمة صحية ، وفى ظروف نفسية قاسية جدا ..

واحترمت رغبة مصطفى أمين

ثم عقدت محكمة الثورة ، وحكم على فؤاد سراج الدين بخمسة عشر سنة سجن ، جاءنى عبد الحميد سراج الدين ، و يسن سراج الدين ، وقالا لى انهما ذهبا الى رجل الثورة المذكور، وحدثاه بشأن شقيقهما ، فقال لهما ، ان الأمر لو كان بيده لاعطاه وساماً !

ودهشت لموقف هذا الرجل ، وهذا التناقض ، ولاحظت انه اذا التقى بالشيوعيين يصبح شيوعيا ، واذا التقى بالاخوان يصبح اخا مسلما ، واذا التقى بالوفديين يصبح وفديا .

كان ذلك سببا فى اننى اخترت موقفى فى أزمة مارس ١٩٥٤ ، اخترته الى جانب استمرار الثورة ، الى جانب جمال عبد الناصر.

السبب الثانى ، ان جمال عبد الناصر اخبرنى انه استقال فى اليوم التالى للثورة من اجل الديمقراطية ، وسألت اعضاء مجلس قيادة الثورة الآخرين لانه من واجبى كصحفي أن اتأكد من أى خبر يقال لى ، وتأكدت فعلا انه استقال من أجل الديمقراطية ، كان هو وخالد محيى الدين قد اتخذوا جانب الديموقراطية ، ولكن الذى قدم استقالته بالفعل ، جمال عبد الناصر ، وكان رأيه أن الديكتاتورية ستقسم الثورة ، سيصبح هناك اثنى عشر ديكتاتورا .

كان عبد الناصر يتصل بى يوميا ، وفى بداية أزمة مارس ١٩٥٤ ، اتصل بى وطلب مقابلتى ، قال لى :

— انتما أيدتما الثورة فى بدايتها .. والثورة مهددة الآن ، من رأيى أن تشوفوا مصلحتكما ..

قلت له ..

— لقد أيدنا الثورة فى بدايتها ، وسنؤيدها الآن ، وفى المستقبل ..

قال :

— حتى لورجعنا الى الثكنات ؟

قلت :

— حتى لورجعتهم الى الثكنات .

عندئذ مال جمال عبد الناصر الى الامام .. قال ..

— اذن .. أحب أن أقول لك ، ان الحديث عن عودتنا الى الثكنات مجرد خدعة .. « كو » .. لكن والله لن تنتهى

الثورة أبدا ، لن أقبل رجوع مصر الى ماقبل ١٩٥٢ أبدا .

وانتصر جمال عبدالناصر فى أزمة مارس ١٩٥٤ ،واستمرت الثورة .

مجلـــس الدولـــة

أثناء أحداث مارس ١٩٥٤ ، هاجمت احدى المظاهرات مجلس الدولة ، واعتدى رجال الشرطة العسكر ية على الدكتور عبد الرزاق السنهورى أكبر عقلية قانونية فى مصر .

اتصلت بجمال عبد الناصر ، قلت له :

ـ ان ماحدث أمر خطير جدا ، ومن رأيى أن تذهب تزوره فى المستشفى .

وافق ، و بعد ساعة رن جرس التليفون ، وفوجئت بصوته يرتجف غاضبا ، قال :

ـ شوف مشورتك المهببة ..

قلت متسائلا ..

ـ لماذا .. ماذا جرى ؟؟

وجاءنى صوت عبد الناصر غاضبا ..

« قال لى عبد الناصر انه توجه الى المستشفى وهناك التقى بزوجة الدكتور السنهورى التى نظرت اليه وقالت : هذه هى المرة الأولى التى أرى القاتل يجيء ليمشى فى جنازة القتيل . واكفهر وجه عبد الناصر واستدار غاضبا وانصرف . كان موقفا جريئا من زوجة السنهورى .

وغضب منى عبد الناصر لانه كان شديد الاعتزاز بكرامته ، كانت هذه نقطة هامة فى شخصيته ، وكان أى مساس بهذه الكرامة يعد امرا فظيعا لايغتفر .

أعود الى سنة ١٩٥٣ . فى هذه السنة قال لى جمال عبد الناصر انه ينوى تأميم الصحافة . وقلت له : أجل هذا القرار بضع سنوات ، و بدلا من تأميم « أخبار اليوم » وهى مؤسسة تتكون من طابقين فقط فى فى ذلك الوقت ، سأسلمها لك عشرة طوابق . ومع انه قال لى ذلك استمررت ابنى « أخبار اليوم » و وصلت الى عشرة طوابق وعند تأميم الصحافة كتبت مقالة سردت فيها هذا الحوار بالحرف .

قبل عدوان ١٩٥٦ استدعانى جمال عبد الناصر واستدعى أيضا محمد حسنين هيكل وكلفنا بالسفر الى أمريكا ، وهناك التقينا بجون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا وقال لى ان الاعتداء على مصر اصبح تاريخا قديما ولن يحدث أبدا . ولكن مستر هارى كيرن رئيس تحرير « النيوزويك » ، وكان صديقا حميا لى ، اخبرنى بأن الاستعدادات العسكرية قائمة للعدوان على مصر ، وان الانكليز والفرنسيين يتدربون الآن على هذه العملية ،

واخبرته بماقاله لى دالاس . فقال لى : ان دالاس مغفل وان العدوان سيقع مائة فى المائة .

وعلمت ان هارى كيرن علم بهذا السر من مستر سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية .

عدت الى عبد الناصر واخبرته بما قاله دالاس وبما قاله رئيس تحرير « نيوزويك » فقال لى : « هل تريدنى أن أصدق رئيس التحرير واكذب وزير خارجية أمريكا ؟ » . ثم كلف جمال عبد الناصر شقيقى على أمين بالسفر الى انكلترا وهناك اجتمع مع بعض اصحابة من كبار الصحفيين ، واجتمع ببعض السياسيين وتمكن من خلال مصادره الصحفية ان يعلم بان ثمة تدريبات مشتركة بين بريطانيا وفرنسا وانه يجرى الاستعداد للعدوان .

وذهبت مع شقيقى الى جمال عبد الناصر فى القناطر الخيرية ونقلنا اليه هذه المعلومات ، لكنه قال ؟ ان تقارير المخابرات الروسية التى بلغونى بها رسميا تؤكد انه لا توجد استعدادت للعدوان فى قبرص أو مالطة » .

وقال على امين : « ياسيادة الرئيس لقد حصلت على هذه المعلومات بصفتى الصحفية . وهذه معلومات شديدة السرية » .

وحدث العدوان بالفعل . وفى البداية لم يصدق الرئيس عبد الناصر الى درجة انه كان جالسا مع سفير اجنبى فى بيته ، وعندما بدأت الغارات صعد فوق السطح عندما سمع صوت الطائرات الانكليزية من طراز « كامبيرا » فتأكد من اشتراك بريطانيا وفرنسا فى الحرب .

فى أحد الأيام جاءنى مصطفى شردى مراسل « الأخبار » فى بورسعيد وكان فى حالة يرثى لها من الارهاق ، وعرض على مجموعة كبيرة من الصور التقطها فى المدنية التى احتلها الانكليز والفرنسيون . كانت الصور تظهر القتلى والدمار . باختصار كانت تجسيدا لبشاعة العدوان استخدامها فى مخاطبة الرأى العام العالمى . وافق على الفور وأمر بتجهيز طائرة خاصة بى ، وقال لى :

ــ هذه رحلة خطيرة جدا . . وربما تموت فيها .

قلت : بعد كل الذين ماتوا . . هل أتردد فى قبول الموت ؟

قال : اذن ساعطيك رسالة الى جميع الملوك والرؤساء العرب .

وجلس يكتب خطابا الى شكرى القوتلى رئيس وزارء سورية ، ثم شعر بالارهاق ، فقال لى :

ــ هذا الخطاب تقول مافيه لجميع الملوك والرؤساء الذين ستلتقى بهم .

ثم خرجت من مكتبه فى مجلس قيادة الثورة بالجزيزة فى سيارة خاصة يتقدمنى موتوسيكل وذهبنا الى أحد المطارات التى تم تمهيد مدرج للهبوط والاقلاع فيها ، ركبت طائرة من طراز « دى . سى ــ ٦ » كانت تتسع لأربعة وأربعين راكبا . كانت جميع مقاعد الطائرة خالية ، وكنت الراكب الوحيد فيها ، طارت الطائرة جنوبا فى اتجاه الصعيد حتى وصلنا فوق بلدة اسمها « قفط » ، ثم فوجئت بها تهبط الى

ارتفاع منخفض جدا الى اربعين مترا فقط فوق سطح البحر. والطيران فى مثل هذا الارتفاع المنخفض يجعل الطائرة تهتز اهتزازا عنيفا . أسرعت الى الكابينة وفى البداية ظننت ان ثمة شيئا حدث ، ولكن الطيار اخبرنى اننا نطير على ارتفاع منخفض حتى لا ترانا الأساطيل المعادية الموجودة فى البحر الأحمر.

طرنا فوق السعودية ، والطائرة مطفأة الانوار، ثم اتجهنا الى الأردن وفجأة سمعنا صوتا يقول فى الراديو: « من انتم ؟ » ، وعندئذ قال الطيار لى : لقد أخطات .. نحن فوق تل أبيب ، اجابهم بسرعة (واحد . اثنين . ثلا ثة) وانحرف بسرعة فى اتجاه الاردن .

نزلنا فى مطار عمان . كان طيارا مصريا رائعا ، وفوق الأرض التقطت انفاسى .

الملوك والرؤســـــــاء

التقيت بالملك حسين الذى اعطانى صورة من خطة عسكرية اسرائيلية للهجوم على مصر ، عثروا عليها فى طائرة فوق الاردن سلمتها الى السفير المصرى فى عمان ، ثم ذهبت الى دمشق حيث سلمت شكرى القوتلى رسالة الرئيس عبد الناصر قلت له : ان الرئيس طلب منى أن تكون هذه الرسالة كلمة الافتتاح ، و بعدما قرأها ، ورأى الصور قال :

« لا .. لا .. ان هذه الصور ستثير الفزع . هذه الصور يجب الا توزعها فى أى بلد عربى .. انشرها بعد اجتماع الملوك الرؤساء .

وأضطررت الى مخالفة أوامر عبد الناصر .. ولم أعرض الصور ، وسافرت الى بيروت .

قابلت جميع الملوك والرؤساء ، وهنا يجب أن أقول : للحقيقة والتاريخ أن أشجع وفد كان الوفد السورى ، قابلت الامير فيصل ملك العراق ، وللتاريخ أيضا فقد ذهبت الى الملك سعود وتحدثت اليه فاستدعى الشيخ يوسف يس وقال لى : « أمل عليه الخطاب الذى سأرسله الى ايزنهاور» .

و بدأت املى الخطاب . وكان فيه تهديد بوقف البترول ، وعندما ذهبت الى أمريكا كنت أشك فى وصول الخطاب بالصيغة التى أمليته بها ، و بالفعل وجدت الخطاب قد وصل بالنص ، وأثار التهديد بوقف ضخ البترول ضجة واسعة فى أمريكا وقتئذ .

الموقف الذى لاانساه ايضا ، موقف صديق لبنانى اسمه اميل البستانى الذى قلت له اننى اريد منه خدمة . فقال لى : ماذا ؟ قلت له : اننى اريده أن يسافر الى لندن ، وان يطبع صور العدوان وان يتفق مع أحد العاملين فى مجلس العموم البريطانى أن يضع قبل الجلسة ملفا بهذه الصور أمام النواب . قلت له أن أموال مصر مجمدة فى

الخارج واننى لا أملك نقودا كافية الآن ، ولكن ماستنفقه اعتبره دينا شخصيا على مصر وسندفعه لك بالكامل .. وأرجوك ان تصرف بلا حدود .

قال اميل البستانى : « لا .. اننى سأطبع هذه الصور على حسابى .. ولن أكلفكم مليما واحدا » . وطبع الصور بالفعل ، وتم توزيعها فى انكلترا . ورفض ان يتقاضى مليما من المبالغ الطائله التى انفقها .

فى أمريكـــــــــــــــــــا

فى أمريكا وزعت الصور ايضا . وقرر هنرى روس صاحب مجلة « التايم » ان ينشر الصور كاملة . كان صديقا لى وجاءه تهديد من يهود أمريكا انه فى حال تأييد مصر فستقاطعه كافة المتاجر اليهودية . وأصر على موقفه وخسر الكثير من الأموال .

فى أمريكا وجدت ان الانكليز يقولون انهم لن يخرجوا من مصر الا اذا خرج عبد الناصر . فى هذا الوقت كان دالاس وزير وزير الخارجية مريضا ومكانه شخص اسمه هندرسون . وروبرت مورفى وراونترى قابلتهم وكان معى الدكتور احمد حسين سفير مصر فى أمريكا وشعرت خلال المقابلة بأنهم يراوغون . وعدت الى صديقى هنرى لوس فقال لى انه سيسأل ، ثم اتصل بى بعد فترة وقال لى أن الموقف معقد جدا لأن الانكليز اقنعوا الحكومة الأمريكية

بأن عبد الناصر ديكتاتور وانه يرغب فى انشاء امبراطورية وانه شيوعى وانه يريد الاستيلاء على البلاد العربية وانه ضد السامية قلت له : ولو اعلن الرئيس عبد الناصر انه ضد هذا كله .. لأن مايقوله الانكليز غير صحيح ؟

قال : اذا أعلن ذلك فسيقطع الطريق على الانكليز . وعلى الفور كتبت بيانا فيه هذا المضمون . قلت له : هل من الممكن ان تقتنع به وزارة الخارجية ؟

قال : ولماذا وزارة الخارجية ؟ ساتحدث الى ايزنهاور نفسه . وأمسك التليفون واتصل بايزنهاور فى رقمه الخاص وقال له : سأقرا لك بيانا مارأيك لو اعلنه عبد الناصر ؟ ثم قرأ له البيان فقال ايزنهاور : لايمكن لعبد الناصر ان يعلن هذا البيان . فقال هنرى لوس : ولو اعلنه ؟ قال ايزنهاور : لو اعلنه فلن تكون هناك حجة للانكليز .

ذهبت الى الدكتور محمود فوزى وقلت له كل ماجرى وطلبت منه ان يرسل البيان . فقال لى : ارسله انت : وأضاف : مادمت بدأت شيئا فلابد أن تتمه .

لم تكن معى شيفرة . اتصلت بشقيقى المرحوم على امين ، وقلت له : اننى سأرسل رسالة أعرضها على الرئيس .

وصل التلغراف المطول الى « أخبار اليوم » وفتحه أحمد زين رئيس قسم الأخبار ، ودهش اذ قرأ فى التلغراف نصا يوحى بأنه رأيى أنا . ثم فوجىء أحمد زين بعد نصف ساعة بالتيكرز الخاص

بوكالة « اسوشيتدبرس » يدق نص التلغراف الذى ارسلته وكان هذه المرة كتصريح من جمال عبد الناصر . . لم يغير فيه كلمة واحدة .

وأحدث التصريح رد فعل ايجابيا جدا فى أمريكا . و بعد عودتى قال لى الرئيس : أنا أجد فيه كلمة واحدة لايمكننى قولها .

بعد عودتى فوجئت بالرئيس جمال عبد الناصر يطلبنى من المطار . ذهبت الى بيته فى منشية البكرى رأسا ، رحب بى وقال : اطلب ماتريد . . قلت له بسرعة : أرجوك أن تعفو عن الشعب المصرى .

قال بدهشة : وماذا فعلت أنا بالشعب المصرى ؟

قلت : انت لم تكن تثق بالشعب ، ولكن هذه الأزمة اثبتت أن الشعب كله يقف وراءك ، وهذه فرصة لتتيح حرية الصحافة وحرية الأحزاب ، وتعطى الديمقراطية .

وتحدث عبد الناصر عن القادة ، وعن عبد الحكيم عامر ، الذى كان مختلفا معه وقتئذ وكان فى البحر الأحمر ، و بعد سبعة عشر يوما من لقائى بعيد الناصر اثر عودتى من الخارج عاد عبد الحكيم عامر من البحر الأحمر ، وعادت العلاقة بينهما كأقوى مايكون

اغتيال أمين عثمان

و يبدو ان مصطفى أمين قد تذكر نقطة هامة ونحن نتأهب للانتقال الى الحديث عن الملامح الشخصية لعبد الناصر .

« أردت أن أقول : ان عبد الناصر أخبرنى أنه فكر فى قتل أمين عثمان لأنه اعتقد أنه هو الذى ورط النحاس فى حادث ٤ فبراير ، وكان يؤمن بأن هذا الحادث هو أكبر اذلال حدث لمصر . وكما سبق أن قلت اننى شخصيا تمنيت قتله . لقد فكر عبد الناصر فى الشىء ذاته . وهذا يدل على أن بعض عمليات الاغتيال السياسى يصحبها نوع من التفكير الجماعى ، ولكن واحدا فى النهاية هو الذى يقوم بالتنفيذ » . .

و ينتقل مصطفى أمين الى الحديث عن فترة تاريخية أخرى سبقت الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ .

قبل اعلان الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ أوفدنى الرئيس عبد الناصر الى سورية لاستطلاع الحال هناك . وكانت ثمة شائعات عن عزم الاخوان المسلمين على اغتيال الرئيس ، لذلك حرصت على الاجتماع بمعروف الدواليبى الذى أكد لى أنه

لايوجد شخص واحد من الاخوان يفكر فى ذلك . وكان معروف الدواليبى هو الزعيم الروحى للأخوان المسلمين فى سوريا فى تلك الايام .

أثناء وجودى فى سورية فوجئت انهم يقولون لى : انه من الضرورى أن يكون رئيس الوزراء من مصر وليس من سورية ، أى ان نائب جمال عبد الناصر فى سورية يجب أن يكون مصريا ، وجددوا عبد اللطيف البغدادى أو كمال حسين ، شكرى القوتلى قال لى انه ينصح بشيئين : أولا عدم معاملة الوزراء للناس من خلال التشدد البيروقراطى ، وثانيا عدم دخول أكرم الحورانى

الوزارة . وقال عنه انه شجع الانقلابات العسكرية فى سورية ، وانه شبيه بأبونا جورج وتساءلت بدهشة : من هو أبونا جورج ؟ قال لى شكرى القوتلى : ثمة حكاية تدور حول قسيس اسمه أبونا جورج يعامل أهل قريته معاملة سيئة جدا ، قرر الأهالى ارسال وفد لمقابلة القس ، وذهبوا لشكوى أبونا جورج وفوجئوا بالأب جورج هو الذى يفتح باب البيت . اجتمعوا مرة أخرى ، وقرروا ان يذهبوا الى المطران ، وهناك فوجئوا بالأب جورج جالسا الى جوار المطران . عندئذ ذهبوا الى البطريرك وهناك فوجئوا بالأب جورج يقف وراء البطريرك . خرجوا وهم فى حالة يأس شديدة ، وقرروا جميعهم اعتناق الاسلام . وفى الفجر سمعوا صوتا جميلا يؤذن للصلاة وقال بعضهم : ياسلام : شوفوا جمال الآذان ، شوفوا صوت المؤذن ، وخرج بعضهم ليروا صاحب هذا الصوت الجميل وفوجئوا بأنه الأب جورج نفسه !

قال شكرى القوتلى : أخشى ان الأب جورج بنفسه يجىء . وتحققت نبوءة شكرى القوتلى .. وجاء أكرم الحورانى .

قبل الاستفتاء على الوحدة جاء شكرى القوتلى الى مصر ، وأعلن تنازله عن الرئاسة والقى خطابا عظيما بايع فيه الرئيس ، ثم بدأجمال عبد الناصر يخطب ، وتحدث عن مصر وعن سورية ، ولاحظت ان الرئيس لم يذكر شكرى القوتلى . كنت أقف الى جوار اعضاء مجلس قيادة الثورة . قلت ملحوظتى لعبد الحكيم عامر وبعض اعضاء مجلس الثورة ، ولكن لم يتخذ أى منهم المبادرة لتنبيه الرئيس ، بعدما انهى خطابه تقدمت نحوه ، وهمست له :

نسيت سيادتك أن تتحدث عن شكرى القوتلى . قال متداركا : آه .. ثم عاد الى الميكروفون ، وخطب مرة أخرى وحيا شكرى القوتلى . ماالذى تستنتجه من هذه الواقعة ؟ نستنتج ان عبد الناصر كان لديه الاستعداد لتصحيح خطأه ، انما المحيطون به كانوا لايجرؤون على تنبيهه . انها مشكلة الرجال المحيطين بالرجل الكبير» .

عبد الناصرالانســــــــان

ونسأل مصطفى أمين :

* هل كانت لدى جمال عبد الناصر طموحات مادية كأن تكون عنده ثروة ؟ و بصراحة أجاب : « لا » .

« فى أحد الأيام اتصل بى وقال :

- قل لهيكل (رئيس تحرير الاهرام) ان لايتصل بى ، قلت له : لماذا؟ قال : ألم تر الصفحة الاخيرة ؟ قلت : نعم .. اننى ارى صورة لوالدك . قال ماهو ده اللى يفسد ابو يا ، قلت له : ان هيكل لايقصد ذلك .

فى أحد الأيام جاء اليه خبر عن خاله الذى كانت هوايته ان يقف خارج ملعب سياق الخيل و يقامر على الخيل المتسابقة ، وهذا مخالف للقانون . وأمر عبد الناصر بالقبض عليه ، وقبض عليه فعلا وأودع السجن .

كان عبد الناصر مستعدا لان يسمع أى نقد ، مهما كان قاسيا ولكن بشرط ان يكون ذلك بينك و بينه . ولكن اذا قلت هذا

الـكـلام نـفسه خارج الغرفة ، حتى الى أعز اصحابه ، فانه يغضب غضبا شديدا » .

* وماذا عن علاقته بأسرته ؟

« كـان يحـب زوجـتـه وأولاده ومـرتـبطا بهم ارتباطا شديدا . وكـان اذا سـافـر حـتـى الى الاسكندرية سرعان مايقول : الأولاد وحـشـونـي جـدا . وفي احـدى الفترات كان يجرى التوسيعات في بيته ، وانتقلت اسرته الى قصر الطاهرة ، زرته في القصر وقال لى :

ـ أنـا لاأصـلـح لـلاقـامـة في قصر الـطـاهـرة .. تصور ان أحد أولادى حـطـم زهـرية .. لـو انـهـم حـاسـبـونـي على ثمنها فستأخذ مرتبى كله .. اريد أن أرجع الى بيتنا » .

* مـن المـلاحـظ انـه كـان مـتـحـفـظا بخصوص ظهور زوجـتـه في الحـيـاة الـعامة . الحقيقة ان سبب ظهور السيدة زوجته يرجع الى زوجة الرئيس تيتو. هى التى طلبت ظهور زوجته في الصورة .

كـان بـسـيـطـا في حـيـاتـه ، وفي لـبـاسه ، كأن يقابلنى دائما بـالقميص والبنطلون ولم يكن يرتدى رباطا للعنق الا في مقابلات الأجـانـب . كـان يـتـحـدث الى أحيانا بالتليفون فيسألنى : ماذا تـفـعـل الآن ؟ أقـول لـه : انـنـى آكـل . فيسألنى : ماذا تأكل ؟ أجـيـب : آكـل كـذا وكـذا . كـان يـبـدأ حـديـثـه بـالسؤال عن احوالك ، وعن اسرتك ، ثم يدخل في موضوع المقابلة » .

* و .. ماذا تبقى في ذهنك عن عبد الناصر ؟

* كـنـت فـرحـا بـعبد الناصر . كان بالنسبة الى هو أول ابن

يولد لمصر لأنه كان أول فلاح مصرى يحكم مصر منذ آلاف السنين . وانني اعتبر نفس محظوظا ، فقد رأيت أول رئيس وزراء فلاح مصرى وهو سعد زغلول ، وأول رئيس لجمهورية مصر فلاح مصرى وهو جمال عبد الناصر ، انني اتفقت معه فى كل شىء ماعدا لديمقراطية وحرية الصحافة والاعتقالات ، كنت اعتقد ان الديقراطية تحمى مصر وتحميه هو أيضا » ٭

منذ عدة اسابيع كنت أزور مسجد سيدى الرفاعى القريب من القلعة ، وأثناء تجولى فيه ، وصلت الى الركن الغربى وكان مظلما معزولا عن بقية المسجد بحاجز ضخم من الخشب . عبرت وفجأة أشار الحارس الى أحد الأركان :

ـ هنا يرقد الملك فاروق .

ورحت انظر الى البقعة الباردة التى تحتوى الجثمان ، وصور عديدة تتوارد على خاطرى ، وعبر ، وتاريخ بأكمله ، وعندما اتيحت لى الفرصة كى أبحر عبر ذاكرة مصطفى أمين ، كنت راغبا فى الوصول الى هذه النقطة التى يبدأ الحديث فيها عن الملك فاروق ، لقد عرفه ، وعايشه عن قرب ، وعايش عصره . وهو عندما يتحدث عنه فانه يبعث صورا حية واحداثا هامة مازلنا نعيش آثارها حتى يومنا هذا ..

و يتذكر مصطفى أمين :

« عندما رأيت الملك فاروق لأول مرة ، كنت طالبا فى أمريكا . وفى سنة ١٩٣٧ جئت الى مصر فى اجازة وكان احمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى رئيسا لجمعية خيرية تعنى بفقراء السيدة زينب ، وحى بولاق وزينهم » ، وقد كنت من المعجبين بدوره الاجتماعى هذا . وذهبت اليه لزيارته ، وأثناء الحديث قال لى انه يلاحظ ان الملك فاروق لايختلط الا بأولاد الامراء والاميرات والأتراك . وانه يريد ان يتعرف الملك على عدد من الشبان المصريين الذين درسوا فى الخارج ليعلم منهم مايجرى فى العالم وقال انه فكر فى عدد من الشبان وذكر عددا من

الأسماء وكنت أنا من بينهم . ذهبت الى مقابلة الملك فى سراى القبة وسألنى عن أمريكا ، ولأنه كان صغير السن راح يسألنى عن كواكب السينما ، وهل رأيتهم أم لا ؟ كان دمثا ، وكان حديثه لطيفا ورقيقا وسألنى : هل الأمريكان مثل الانكليز . . يعنى سيئين مثل الانكليز؟ لفت نظرى انه يكره الانكليز ، وانه يضمر لهم كراهية شديدة . كان يكره اساتذته الانكليز ، اذكر

منهم شخصين ، اسم الأول مستر ميتشيل ، والثانى مستر فورد تحدثنا عن الأول بكراهية ، وحدثنى عن مربيته الانكليزية بكراهية أيضا . وقال لى ان مربيته الانجليزية كانت تضربه بالكرباج وهو ولد صغير !

كان هذا اللقاء الأول فى القاهرة . ثم سافرت الى أمريكا وانتهيت من دراستى وعدت الى القاهرة

فى قصـــــر المنتـــــزة

بعد عودتى اصبحت رئيسا لتحرير « آخر ساعه » والتقيت بالملك فاروق مرتين ، فى احد الأيام كنت فى الاسكندرية وكان أحمد حسنين باشا رئيس الديوان مريضا منذ شهرين و يرقد فى مستشفى المواساة ، وعرفت ان الملك لم يعن بالسؤال عنه ، طلبت مقابلة فاروق ، وحدد لى موعد فى قصر المنتزه ، وذهبت اليه ووجدته فى الطابق الأسفل من القصر ، كان يرتدى عباءة ويجلس فوق الأرض فى غرفة مخصصة للعملات الذهبية القديمة والنادرة وكان يمسك بفوطه من قماش معين و يضع امامه زجاجة

فيها مادة مخصصة لتلميع هذه القطع ، بعد لحظات من جلوسى صامتا ، قلت له :

ــ يامولانا ، ان الناس تنتقد موقفك تجاه أحمد حسنين باشا ، انه رائدك وهو الذى اشرف على تربيتك ، وهو مريض منذ شهرين وانت لا تسأل عنه .. هذا مايقوله الناس .

نظر الى بأدب وهدوء ، استمر فى تنظيف العملات المعدنية . فجأة قام وخرج من الغرفة ، لم يتكلم ، لم يقل لى حرفا ، ولم أدر هل سيرجع أو لا ، لم أدر كيف اتصرف ، فقررت البقاء فى مكانى ، مضت فترة ثقيلة من الوقت ثم فوجئت به يدخل الى الحجرة ، يرتدى ملابسه كاملة ، قال :

ــ تعال .

اصطحبنى الى سيارة خضراء اللون ، كان قد اهداها له هتلر . وكان لها صوت بوق معين له نغمه موسيقية لا يوجد مثله فى مصر ، ركبنا السيارة وجلس هو فى مقعد القيادة . خرج من القصر ، وظل صامتا . الا اننى لاحظت انه يتجه الى الطريق المؤدية الى مستشفى المواساة ، وشعرت بدرجة من الغرور اذ اننى استطعت ان أؤثر على الملك وأجعله يذهب لزيارة أحمد حسنين باشا .

وصلنا الى المستشفى . فوجئت بمجرد وصوله بزحام شديد تجمع حولنا : الممرضات ، المرضى ، المارة ، كان فاروق محبوبا

جدا من الناس فى هذا الوقت . خرجوا كلهم لتحيته وارتفع التصفيق من نوافذ المستشفى وطرقاتها صعد الدرج مسرعا وأنا فى اعقابه . عندما وصلنا الى الطابق الذى توجد فيه غرفة أحمد حسنين باشا وقعت مفاجأة .

الخـــــــادم ..

بدلا من ان يتجه الملك فاروق الى الجناح الأيمن حيث يرقد أحمد حسنين باشا ، اتجه الى الجهة اليسرى . اسرعت فى اثره لأقول له همسا ان الجناح المخصص لحسنين باشا الى اليمين وليس الى اليسار . لكنه لم يصغ الى . لم يتوقف . استمر فى سيره حتى دخل حجرة يرقد فيها أحد خدمه ، كان اسمه : محمد عبد الله ، وكان الخادم الأرناؤوطى المسؤول عن تلميع السلاح والعناية به . خرجت أنا من الغرفة ، ولم تمضى سوى سبع دقائق الا ووجدته قد خرج من الغرفة وعاد رأسا الى السيارة وسط تصفيق الناس وهتافاتهم . بالطبع لم يكن هناك حرس ، أو أى اجراءات أمنية وكنت الى جواره ، وشعرت بالخجل الشديد ، اذ اننى تسببت فى حرج شديد لأحمد حسنين باشا . عدت معه الى القصر ومرة اخرى الى الحجرة التى تقع فى الطابق الأرضى . واستأنف تنظيف العملات القديمة وأنا أجلس فى مواجهته صامتا ، وهو لايكلمنى و بالتالى أنا لاأكلمه . رأيت فوق احدى المناضد عددا من صحيفة « الجورنال دى جيبت » و بدأت أقرأه وأحاول التشاغل به ، مضى من الوقت نصف ساعة تقريبا وهذا الصمت الثقيل ، ثم دخل خادم اسمه محمد حسن ، يحمل صينية مذهبة فوقها رسالة

فى مظروف أزرق ، قدمها الى الملك وفجأة أمسك المظروف والرسالة والقاهما فى وجهى وصاح :

ـــ شوف أحمد حسنين بيقول ايه ؟

وأمسكت الرسالة قرأت فيها : « ياصاحب الجلالة : لقد حاولت أن أعلمك كيف تكون ملكا .. ومن اول صفات الملوك الوفاء . وقد سررت أن وفاءك نزل الى خادمك . واسفت لأنه لم يرتفع الى استاذك ـــ أحمد حسنين » .

بالطبع شعرت بقلق شديد فى الوقت الذى راح وجه الملك يكتسى بلون أحمر حتى صار مثل الدم ، بينما لم أدر ماأفعله سوى اننى أمسك « الجورنال دى جيبت » واختلس النظر من بين السطور الى الملك ، بعد لحظات قام واقفا ودخل الى غرفة جانبية ثم خرج بعد خمس دقائق وقال :

ـــ تعال ..

وقمت اتبعه وأنا لا أدرى الى أين .

غضبـــة ملكيـــــــة

قاد الملك سيارته ، ومرة اخرى سلكنا الطرق المؤدية الى مستشفى المواساة .. توقف امام المستشفى ، وتكرر التصفيق والهتاف . صعد الدرج وأنا فى اثره وفى هذه المرة اتجه الى الجناح الأيمن . دخل غرفة حسنين باشا وانتظرت أنا فى الخارج . مرت ثلاث دقائق ، وفجأة خرج مندفعا . دفع الباب وراءه بشدة

وأسرع الخطى خارجا من المستشفى ، ومرة أخرى جلست الى جواره فى السيارة الخضراء وأطلق بوقها ولاحظت انه يقود بسرعة جنونية ، كالسهم ، كان غاضبا جدا ، واستمر يقود العربة بهذه السرعة الجنونية الى منطقة فيكتوريا ثم الى السيوف التى كانت مزارع فى ذلك الوقت فى منطقة مهجورة تماما ، التفت الى وتوقف فجأة ، قال :

ــ انزل ..

ونزلت .. انطلق هو بالعربة وتركنى وحيدا تماما . الليل بدأ فى النزول والمكان ناء بعيد ، ولا توجد أى وسيلة للمواصلات .. مشيت مايقرب من ساعة حتى وصلت الى مكان اسمه « حجر النواتية » وهناك وجدت عربة حنطور ، طلبت من سائقها ان يوصلنى الى مستشفى المواساة . قررت ان أذهب الى أحمد حسنين باشا لأعرف ماذا جرى . ماذا أغضب الملك حتى القى بى فى هذا المكان السحيق ؟ وصلت المستشفى وذهبت اليه رأسا ، سألته :

ــ ماذا فعلت بالملك ؟

فقال حسنين باشا :

ــ وكيف علمت ؟

وقصصت عليه ماجرى وعندئذ استغرق فى الضحك ، فقلت غاضبا :

لماذا تضحك ؟

مظـــــــــروف

كنت متعبا ، مرهقا من اثر المشوار الطويل الذى مشيته . ولهذا غضبت عندما رأيت حسنين باشا يستغرق فى الضحك . غير انه واصل الحديث ، قال :

ــ بعدما دخل الملك فوجئت به يخرج مظروفا من جيبه و يقدمه الى . فهمت ان فيه نقودا . فتحت المظروف و بدأت اعد المبلغ ، وجدته الفين من الجنيهات ، عندئذ أعدت المبلغ الى المظروف وقلت له : انت لن تشترينى بهذا المبلغ انما يمكنك ان تشترينى بهذه الزيارة . وعندئذ خرج الملك فاروق غاضباً .

ونسأل الكاتب الكبير مصطفى أمين :

* هل هذه الحادثة مدخل الى شخصية الملك فاروق ؟ هذا التناقض الغريب ، وهذه الأفعال ، وتلك العلاقة المعقدة بينه و بين أحمد حسنين باشا ؟ ويجيب مصطفى أمين خلال ذكرياته :

« نعم . كان شخصية متناقضة . كما ان العلاقة بينه و بين أحمد حسنين باشا كانت معقدة جدا . كان يغار منه و يكرهه . ومن جهة اخرى كان يخشاه ويخاف منه الى حد كبير .

أذكر اننى صحبته مرة الى فندق « مينا هاوس » وعند

اقترابنا من المدخل قال لى : هيا نرجع .. هيا نرجع .. أحمد حسنين بالداخل .

كان يرغب فى تقليد احمد حسنين باشا . كان معجبا به وكان يريد أن يقلده ولكنه لم يكن يستطيع . كان أحمد حسنين لديه خبرة وتجارب طويلة وكان رقيقا جدا ، وفيه صفات عديدة منها قدرته الفذة على اقناع مختلف المستويات ، فاذا جلس الى عدد من الشبان الصغار حاورهم وأقنعهم . واذا جلس الى المجربين الكبار ناقشهم وأقنعهم . كان متواضعا و يدعى انه لا يفهم . وكان سياسيا داهية و يدعى انه لايفهم فى السياسة .

أذكر انه فى احدى المرات كان الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر قادما لمقابلته وكنت موجودا عنده فطلب منى ان ادخل الى غرفة مجاورة وكنت قادرا على أن أسمع تفاصيل الحديث بوضوح . جاء الشيخ المراغى ، و بدأ يتحدث عن سوء الحال السياسى ، والصغى اليه أحمد حسنين باشا بعمق ، ثم قال له :

ــ أنا رجل محدود الفهم فى السياسة .. فى رأيك ماهو العمل ؟

و بدأ الشيخ المراغى يقول : انه لابد من تأليف وزارة ، وان يدخل فيها فلان وفلان .

وعندئذ طلب منه احمد حسين باشا امهاله لحظة حتى يكتب أسماء الوزراء الذين يقترحهم الشيخ المراغى . و يبدأ الشيخ املاء الأسماء . و بعد خروجه رفع أحمد حسنين باشا سماعة التليفون ، واتصل بحسين سرى باشا واملاء أسماه الوزراء الجدد ، وكانوا

جميعا من غير الأسماء التى حددها الشيخ المراغى .

كان يدعى دائما انه بلا نفوذ . وكان أكبر اعدائه هو من يدعى ان له نفوذا ، الأغرب من هذا ان كان يدخل على الملك و يقول له : « انت حمار» . « انت جاهل » ، « وانت تدفع البلد الى مصيبة » . ثم خرج من الغرفة و يقول لهم بقدرة هائلة على التمثيل ، فيبدو امام موظفى القصر وقد تصبب عرقه و يقول لهم : الملك قال لى « انت حمار» .. « أنت جاهل » . كل ماقاله هو للملك يقوله على أن الملك هو الذى قاله له . بالطبع هذا الكلام ينتشر و يبلغ الملك فيسر الملك سرورا عظيما .

ولهذا كان من الصعب النيل منه .

كان يحرص على الظهور بمظهر الضعف بينما كان قو يا . كان أحمد حسنين باشا هو الملك الحقيقى منذ عام ١٩٣٦ ، وحتى عام ١٩٤٦ ، عندما كان الملك محبوبا من الناس ، وقبل أن يبدأ تحول شخصيته ، هذا التحول الذى أدى به الى تلك الصورة الكريهة التى لا تزال عالقة بالاذهان » .

٤ فبراير

* ونسأل : ماهو السبب فى ذلك التحول ؟ مالذى جعل الملك فاروق ينقلب من صورة الملك الصالح ، محبوب الجماهير ، الى حاكم يكرهه الناس ؟

« فى رأيى ان نقطة التحول فى شخصيته تكمن فى حادث ٤ فبراير اذ كان يتوقع أن تسانده الجماهير ضد الانكليز .. وعدة

نقاط أخرى .. ولكن تظل لحادث ٤ فبراير اهمية خاصة .

وعندما حاصرت الدبابات الانكليزية القصر ، طلب الملك فاروق من زوجته الملكة فريدة تجهيز حقائبها والاستعداد للرحيل . ولكن احمد حسنين باشا رفض ذلك بشدة وكانت الملكة فريدة تلح عليه ان يتنازل عن العرش فورا .

فى بداية حادث ٤ فبراير عندما أرسل الانجليز انذاراً برغبتهم فى أن يؤلف النحاس باشا الوزارة واحاطت الدبابات البريطانية قصر عابدين ، اصابته حالة عصبية وراح يقول انه لن يبقى لحظة واحدة وانه سيتنازل عن العرش .

ولكن أحمد حسنين باشا دفعه فى صدره ، حتى انه اسقطه على الكنبة وهذه أول مرة يضرب به فيها . وصاح فى وجهه :

— اسمع .. أنا عملتك ملكا .. من حقك ان تتنازل عن العرش لو ان هذه الدبابات مصرية ولكنها دبابات انكليزية .. انت ستظل ملكا وستقاوم . و بالطبع ، غير موقف حسنين باشا هذا من الوضع .

أذكر اننى دخلت مرة بعد حادث ٤ فبراير على أحمد حسنين باشا فوجدته ممسكا بخنجر من الذهب الخالص ، كان قد أهداه اياه الملك عبد العزيز آل سعود . يضرب راحة يده بالخنجر ، ابديت دهشتى فقال لى انه يتمرن ، يتمرن كيف يقاوم ، كيف ينتقم ، و بالفعل ظل يحفر لمايلز لامبسون السفير البريطانى ، حتى تسبب فى طرده من البلاد ، و بعد ان سافر لامبسون مات أحمد

حسنين باشا ، وبهذه المناسبة اذكر ان البعض كان يتهم حسنين باشا بانه صديق للانكليز وهذا غير صحيح فهو الذى كان وراء مقاومة القصر للانكليز .

كان عبد اللطيف البغدادى و بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة يتهمونه بالجبن لأنهم ذهبوا اليه أثناء الحرب العالمية ، وعرضوا عليه رغبتهم فى القيام بحركة مسلحة ضد الانكليز ولكنه عارضهم ، كانت وجهة نظره ان مائه الف جندى انكليزى فى مصر يمكنهم قمع أى حركة مسلحة وكان هو ابعد نظرا منهم ، ولو انه كان صديقا للانكليز لأبلغهم باسماء هوءلأ الضباط علما بان هوءلأ الضباط هم الذين قاموا بثورة يوليو عام ١٩٥٢ »

الخدم والفســــاد

* ونسأل الكاتب الكبير مصطفى أمين عن الفترة السابقة على ثورة يوليو: أحقا كان فساد فاروق الى هذه الدرجة التى صورت لجيلنا فى مابعد ؟

يقول مصطفى أمين :

« فى الحقيقة من أفسد الملك هم الخدم الأجانب الذين كانوا محيطين به ، كان حوله خدم مصر يون ونو بيون وهوءلأ كانوا عناصر وطنية جيدة وصالحة . لكنه احاط نفسه بعناصر خاصة من الايطاليين والأجانب وهوءلأ كانوا يقولون له دائما : انت لا تعيش هنا كملك ولكنك لو ذهبت ايطاليا فستعيش كملك .

وفى السنوات الأخيرة كان فاروق فى رأيى أشبه بشخص يمسك حقيبة ملابسه و يقف فوق رصيف المحطة منتظرا مجىء القطار الذى سيرحل به .

كان ينتظر ان يمشى ، وكان مرحبا بفكرة الرحيل . لهذا لم يقاوم عند قيام الثورة وكان فى امكانة ان يقاوم . كان ير يد ان يسافر الى أورو با وان يعيش حياة المتع واللهو.

لم يكن فاروق متدينا قط ، انما كان متعصبا للاسلام الى درجة كبيرة . وفى احدى المرات سأله البعض :

ــ كيف تقبل ان يكون انطون بوللى قوادا لك ؟ فقال : أنا لا أتصور أن يكون شخص مصرى ومسلم قوادا ؟

ــ الخواجة عنصر مناسب لهذا العمل !

كان فاروق وطنيا وكان يكره الانكليز.. ولكن الأجانب أفسدوه » .

* وماذا عن علاقاته بالنساء ؟

و يتذكر مصطفى أمين :

« نعم كانت له علاقات بكاميليا .. وسامية جمال .. ولكن معظم هذه العلاقات لا تتعدى مجرد الظهور معهن فى الأماكن العامة حتى تشيع عنه الحكايات انه ز ير نساء وانه دون جوان .. استعراض فقط .. لقد وصفته بانه كان يزهد فى مايمتلك .. و يرغب فى مايمتلكه الآخرون . وسر زواجه من ناريمان انها كانت مخطوبة لرجل آخر وربما لولم تكن مخطوبة لما فكر فى الزواج منها .

و يقولوا : انظروا الى مغامرات الملك . لاشك ان ضعفه هو السبب فى هذا السلوك ، وكانت له ضحكة عالية جدا من يسمعها يتأكد انه فاقد الوعى » . .

كان فاروق بخيلا فى أحوال ، وكريما فى احوال اخرى . فى احدى المرات كنت معه فى الأقصر فى وقت انتشر وباء الملاريا ودخلنا متجرا لبيع العاديات اشترى بعض التحف الصغيرة ثم نظر الى وتساءل :

ــ أمعك نقود ؟

أخرجت المحفظة وكان معى أربعون جنيها . أخذها ولم استرد هذا المبلغ حتى الآن . وبالطبع كان مبلغ أربعين جنيها كبيرا بالنسبة الى . كنت رئيس تحرير مجلة « الاثنين » وقتئذ . كان ابوه من نفس الطراز . . يذكر سعد زغلول ان الملك فؤاد سرق النوتة الخاصة به » .

و يتوقف مصطفى امين لحظة . . ثم يواصل التذكر :

« قد تأخذك الدهشة اذا علمت ان الملك فاروق لم يكن يشرب الخمر ، انما كان يتظاهر بانه يحتسيها حتى يتكلم الناس

. . و يتوقف مصطفى أمين لحظات . انه لايستغرق صامتا مع ذكرياته البعيدة شأن الذين تقدموا فى السن ، انما تخرج ذكرياته دافئة حية وكأنها أحداث وقعت منذ دقائق ، ذكريات حية تفيض بالحيوية تماما كهذه الابتسامة والدهشة التى لا تفارق وجهة طوال حديثه ●

فى الطابق العلوى من « بيت الأمة » بيت سعد زغلول ، الذى قاد منه الثورة المصرية ، تقع غرفة نوم سعد زغلول ، وصفية زغلول زوجته ، وبجوار سرير كل منهما صورة كبيرة للتوأم مصطفى وعلى . وفى هذا البيت التاريخى ولد مصطفى أمين ، وشقيقه الأكبر على ، فقد سبقه الى الدنيا بدقائق ، والى هذه الفترة الخصبة من حياة مصر نعود مع ذاكرة مصطفى أمين ، وكان من الطبيعى أن أسأله عن سعد زغلول ، وعن ذكرياته عنه .

« ماتبقى فى رأسى وذاكرتى من سعد زغلول حتى الآن ، اننى مازلت أذكر صورته المهيبة وهيئته ، كان رجلا طويل القامة ، عملاقا عريضا ، له ضحكة جميلة جدا تأسر القلوب ، وومضة فى عينيه تطمئن ، بقدر ما تخيف .

رجل يحترم الصحافة ، ويتحدث عن الصحافيين باحترام ، ويحب ان يتحدث عن الصحفين والادباء كما تتحدث فى شبابنا عن نجوم السينما والمسرح .

كانت اجتماعاتى به تتم على مائدة الطعام ، كان يتناول افطاره ، ثم يمكث ساعة جالسا الى المائدة ، يتحدث ، وفى الغداء يتناول الطعام ويجلس ساعة على المائدة ، وبعد العشاء يجلس ساعتين .

كان أفضل الأوقات التى يمكن أن تستمع فيها اليه على مائدة الطعام ، وباستمرار كان هناك ضيوف يشاركونه الطعام ، كان من النادر تناولنا الطعام معه دون أن يشاركنا الضيوف ، وكان

موقع حجرة المائدة الى جوار المكتب فى السلاملك ، أى أن من كان يجلس معه فى المكتب يدخل مباشرة الى غرفة المائدة .

فى الصباح كان يتكلم دائما عن الصحف ، كان يقرأ عدة صحف ، وكان من عادته أن يقرأ فى دورة المياه ، وكان هناك رف مخصص للصحف فى الحمام ، كان يقضى وقتا طويلا ، ربما لسبب عضوى ، فى البداية يقرأ صحف المعارضة ، ثم يقرأ الصحف المؤيدة له ، ثم يقرأ الصحيفتين الانكليزيتين اللتين كانتا تصدران فى مصر ، ثم الصحف المصرية ـــ الفرنسية وكانت خمسا .

كان يحلق بيده ، بموس ، لم يكن يحلق بمساعدة حلاق ، وبعد ذلك يذهب الى غرفة ملابسه الخاصة ، فى هذه الغرفة كان يحتفظ بردائه الأزهرى ، وكان حريصا جدا على الجبة والقفطان ويعتز بهما وكان يقدمهما على بدلة التشريفة الموشاة بالقصب ، كان فخورا بهذا الرداء .

كان سعد باشا فلاحا فى بيته ، لقد سافر الى أوروبا عدة مرات ، ودرس فى السوربون ، لكنه كان يقول دائما : اننى ارتدى الجلباب الأزرق تحت االردنجوت ،، لم يكن يطيق العادات الأوربية ، كان شرقى الطباع ، وأذكر مثلا أن الخادم كان يتقدم اليه هوبالطعام أولا ، ثم يقدمه الى صفية زغلول ، وهذا عكس البروتوكول الأوروبى ، وأذكر أيضا انه كان يمشى أمامها ، وكانت زوجته تحترمه احتراما كبيرا أكبر من مجرد احترام زوجة لزوجها ، كنا عندما نجلس اليها فى الطابق العلوى ، ثم تسمع

خطواته فوق السلم الرخامى ، تشير الينا أن نصمت وتقول : « الباشا وصل » .

كانت صفية زغلول تذكر دائما قبل زواجها سمعت أن سعد يكره « البودرة » ومنذ زواجها لم تضع « البودرة » أبدا احتراما لمزاجه الخاص ، وعندما استعدت للخروج يوم الزفاف — من بيت والدها مصطفى باشا فهمى ، وهو البيت الذى تشغله الآن مدرسة « الفرير » بباب اللوق ، قالت لها أمها : « اسمعى .. انت ستخرجين من بيتك الى بيت سعد زغلول فى غمره (كان بيته فى غمرة فى ذلك الوقت) أنت ستركبين الحنطور ، وعندما تصلين الى هناك سينزل هو أولا وسيقول لك : تفضلى ، لا تنزلى ، وسيقول لك مرة ثانية : تفضلى ، فلا تنزلى ، وسيقول لك : تفضلى ، عندئذ انزلى فى المرة الثالثة » .

وركبت صفية زغلول العربة ، ظلت صامتة طوال الطريق ، وعندما وصلا الى غمرة نزل سعد وقال لها : تفضلى ، ولم تنزل ، وعندئذ أولاها ظهره وتقدم ناحية البيت ، ولم تملك الا أن تجرى فى أثره !

كانت صفية زغلول تتذكر هذه الواقعة ، ثم تقول : « جريت وراءه ، ومنذ هذه اللحظة وأنا أجرى خلفه حتى الآن » .

كان سعد باشا يستضيف البعض ، وكانت صفية تحضر المناقشات ، وفى معظم الأوقات تجلس كمستمعة فقط .

و يتوقف مصطفى أمين لحظات ، انه يقتنص لحظات اخرى بعيدة ونائية ، ثم يواصل :

« صورة أخرى واضحة فى عقلى : أيام قضية النقراشى وأحمد ماهر كان قد اتخذ الحجرة التى ولدت فيها أنا وأخى ، كحجرة لجلوسه ، وضع فيها مقعدا وكنبة ، تماما نفس الوضع الذى تجده فيها الآن ، اذكر هذه الحجرة مليئة بالملفات الخاصة بالقضية ، كان يستدعى المحامين : مصطفى النحاس باشا ، نجيب الغرابلى باشا ومكرم عبيد وأحمد لطفى ومرقص حنا ، أكبر المحامين فى مصر وقتئذ .

كانوا يجلسون اليه كالتلاميذ ، ثم يبدأ توجيههم ويحدثهم قائلا : « انت تتكلم فى هذه النقطة ، وأنت تركز على تلك » . ثم يناقشهم فى التفصيلات ، وكان يقول « اننى اعتبر نفسى أنا المتهم ، أنا الذى أقف فى قفص الاتهام ، ولذلك يمكنك أن تعتبر ان مجموع مرافعات هؤلاء المحامين تساوى سعد زغلول » .

كان الانكليز يريدون ان يثبتوا على النقراشى وماهر انهما اشتركا فى قتل الانكليز ، و بذلك يمكنهم اثبات تورط سعد زغلول فى قتل الانكليز . و بالتالى تدمير الجهاز السرى لثورة ١٩١٩ .

كان سعد زغلول بعد ثورة ١٩١٩ يعتقد انه من الضرورى وجود هذا الجهاز من أجل المستقبل ، لم يكن مؤمنا بانتهاء الثورة ، بل كان يعتقد بوجود هدنة ، وان الثورة ستستأنف مرة أخرى .

كان له طريقة غريبة فى التفكير .

الطبقـــــات

كـان للنقراشي وأحمد ماهر دور خطير فى الثورة ، اذ انهما كانا مـشـتـركين فى الجـهـاز الـسرى ، وقد استند اليهما سعد زغلول هذا الـدور، وكـانـا يـشـتـركـان فى وضع طبقات قيادة الثورة ، وهذه الطبقات وضعها سعد زغلول ، بحيث اذا قبض على الطبقة الأولى مـن قـيـادة الـثـورة ، فـان طـبقة ثانية تحل محلها ، وهكذا بعد نفى الـقـيـادة الى مـالـطة حلت محلها قيادة أخرى ، و بعد نفى القيادة الـثـانـيـة الى سيشيل ، حلت محلها قيادة ثالثة ، قبض على القيادة الـثـالـثـة وحـكـم عـليهم بـالاعـدام ، وعندئذ حلت محلها القيادة الـرابـعـة ، قـبـض عـليهم ، وتم نفيهم الى واحة المحار يق ، وحلت محـلـهـم قـيـادة خـامـسـة ، قـبض عليهم ووضعوهم فى القشلاق ، فظهرت طبقة سادسة من القيادة .

مـن هـنـا لايمكن القول أن واحدا من قادة الوفد كان معينا ، فـالـذى عـينهـم هـو المشانق ، والمنافى ، والسجون ، ولهذا لم يخرج شـخـص واحـد من قيادة الثورة بعد اشتعالها ، الذين خرجوا ، منذ البداية قبل بداية الثورة .

هذا ترتيب عجيب ، و ينم عن تفكير خاص .

ثـمـة أمـر آخـر خـاص بسعد زغلول ، وهوشجاعته الفائقة فى مـواجـهـة الـنـفـس ، عـنـدما قرأت مذكراته بعد وفاته عام ١٩٢٧ ذهـلـت ، كـنـا ننظر اليه دائما وكأنه نبى ، واذا بى أجده يتحدث عن نفسه ، و ينتقد نفسه ، و يصرح بعيوبه ، كيف انه ضعيف فى

هـذه النقطة ، وكيف ينقد نفسه هنا أو هناك ، وأذكر من قراءتى الأولى للمذكرات ، اننى وجدته ينتقد نفسه ، و يصفها بالجمود فى التعامل مع الآخرين ، و يقول انه لابد أن يصلح من طباعه ، ويجب الا يغضب بسرعة ، يجب أن يتحمل النقد ، وأن يصلح من نفسه قبل أن يقود الثورة .

فوجئت أيضا بانه كتب قبل الثورة يقول : انه كان فى الأزهر ، ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف ، ثم وزيرا للمعارف ، ثم وزيرا للحقانية ، ولكنه لم يدرس الحساب والرياضة ، وبدأ يشترى كتب الحساب والرياضة ليدرسها أثناء تمهيده للثورة .

فى مابعد ، سألت أحمد ماهر عن دراسة سعد زغلول للحساب والرياضة قال أحمد ماهر : طبعا ، لأنه زعيم الثورة لابد أن يتقن الحساب تماما وقد درس الحساب قبل الثورة ، وخلالها كان يجيد الحساب ، أيضا قبل ثورة ١٩١٩ درس اللغة الألمانية ، هويناهز الستين ، وفى مكتبته كانت توجد عدة كتب باللغة الألمانية .

وسألت أحمد ماهر عن سر اهتمام سعد زغلول باللغة الألمانية ، فقال لى : ان أفضل الكتب التى وضعت عن تاريخ الجمعيات السرية والثورات كتب باللغة الألمانية ، فتعلم سعد زغلول اللغة الألمانية خصيصا لهذا الغرض .

وقبل نشوب الحرب العالمية الأولى سافر الى المانيا مع صفية زغلول ، وفى برلين نشر اعلانا فى احدى الصحف : « رجل عجوز يريد فتاة تعلمه اللغة الألمانية » فتقدمت آنسة اسمها فريدة

كـابـس ، وبدأت تـعلمه اللغة الألمانية منذ ١٩١٢ حتى ١٩١٤ ، وعـنـدمـا قـرر الانـكـليز طرد الألمان المقيمين فى مصر ، قبل نشوب الحـرب ، ذهـبـت الى بـلـدهـا مـنذ عام ١٩١٤ حتى عام ١٩٢٤ ، وعـنـدمـا ألـف سـعد زغلول الوزارة سنة ١٩٢٤ ، أرسل الى فر يدة كـابـس ، وأقـامـت فى « بـيـت الأمـة » حـتـى وفـاة سعد زغلول عـام ١٩٢٧ ، ثم عـاشـت مع صفية زغلول حتى عام ١٩٤٧ ، سنة وفـاتها ، وظلت طوال هذه الوقت أمينة « لبيت الأمة » ، تشر بت هـذه الـفـتـاة الألمـانـيـة الروح المصر ية الى درجة أن صفية زغلول احـبتهـا ، وأهـدتهـا أثـمـن عقد لؤلؤ عندها ، وكان طوله يز يد على نصف المتر ، وعندما نشبت حرب فلسطين ، تبرعت فر يدة كابس بهذا العقد الى الجيش المصرى .

شخصية غر يبة طبعا .. اليس كذلك ؟

الليســانــس

اتقن سعد زغلول الألمانية وكان يجيد الفرنسية .

الـغـر يـب انـه كـان عضو اليسار فى محكمة الجنايات ، وكان رئـيس الدائرة انكليز يا اسمه مستر بوند ، وأثناء احدى المناقشات أبـدى سـعد زغلول رأيا فقال مستر بوند ان مثل هذا الرأى لا يصح أن يقوله الامن يحمل شهادة الليسانس .

ولم يكن سعد زغلول وقتئذ يحمل شهادة الليسانس ، لقد عمل محـاميا فى زمن لم يكن العمل بالمحاماة يقتضى الحصول على شهادة الـلـيـسـانـس ، وكان من أكبر المحامين فى مصر ، ثم عين بالقضاء ، وعـنـدمـا دخـل المحاماة كانت المهنة تعتبر مهنة نصب ، ورفع سعد

زغلول من مستواها ، وكان دخله كبيرا مكنه من أن يشترى أربعمائة فدان ، ثم أراد أن يثبت ان المحامى يمكنه ان يصبح قاضيا ، فانتقل الى القضاء ، وأصبح مرتبه أودخله الشهرى عشر دخله كمحام ، ولكنه ضحى لكى يثبت فكرة أومبدأ ، وقد أعلن ابراهيم الهلباوى هذه الحقيقة فى حفل تكريمه .

عندما قال له القاضى الانكليزى ذلك ، اذا به يمضى ليتعلم الفرنسية ، كانت سنة أربعين سنة وقتئذ ، و يسافر الى باريس ، و يدرس الحقوق ، بدءا من سنة أولى الى سنة رابعة ، حتى يحصل على الليسانس ، وكان نفس الوقت مستشارا بمحكمة الاستئناف .

وعندما نفاه الانكليز الى جزيرة سيشيل تعلم اللغة الانكيزية ، وعندما شعر أن الثورة ستنجح ، وأن ثمة مفاوضات مع الانكليز ، قرر أن يجيد اللغة الانكيزية وأجادها فعلا ، أما الذى علمه الانكيزية فهو مكرم عبيد .

وأذكر ان مكتبه كان يحتوى على ثلاثة قواميس ضخمة ، أذكر قاموسا منها اسمه « أقرب الموارد » وقاموسا آخر « لسان العرب » لابن منظور ، وقاموسا ثالثا لا أتذكر عنوانه ، وأثناء كتابته ، كان يرجع باستمرار الى القواميس وكان دقيقا الى حد مذهل فى اختيار كلماته و بياناته إلى الأمة .

كان سعد زغلول انبغ خطباء اللغة العربية فى القرن العشرين ، ولكنه لم يكن يكتب بيانا أومذكرة الا بعد الرجوع القاموس مرارا .

الدكتور ابراهيم عبده يقول فى أحد كتبه : ان البعض كان يكتب لسعد زغلول خطبه ، وهذا غير صحيح ، كان سعد زغلول يحب أن يكتب خطبه بنفسه وكان يقرأ بياناته على أعضاء الوفد قبل أن يتلوها على الجماهير ، ليرى رد الفعل ، وكثيرا ماكانوا يحاولون تخفيف عباراته التى اتسمت بالعنف .

الأدب

و يتوقف مصطفى أمين قليلا ، ونتذكر ماقرأناه فى كتابيه « من واحد الى عشرة » و« من عشرة الى عشرين » وتقفز ملاحظة : لقد كتب أدق التفاصيل عن « بيت الأمة » وشخصياته ، ولكن لم يرد ذكر الأب بنفس القدر الذى ورد فيه ذكر الأم ، وسعد زغلول وصفية زغلول .. لماذا ؟

ويجيب مصطفى أمين :

« السبب فى هذا ان والدى كان عنده مكتبان ، مكتب فى دمياط ومكتب فى المنصورة ويجيئ الى القاهرة من وقت الى آخر ، كان شريكا للمؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى الذى كان يعمل بالمحاماة وقتئذ .

الأمر الثانى ، ان والدى كان منتميا الى الحزب الوطنى ، ثم أصبح وفديا فى مابعد ، وقد قبل سعد زغلول ان يزوج رتيبة — أمي — التى كانت فى مقام ابنته الى محام ناشئ لان والد هذا المحامى كان مشتركا معه فى احداث الثورة العرابية ، وهو الشيخ أمين أبويوسف .

كـان قـد تـقـدم لأمي شخص يمتلك الف فدان ، اسمه محمد عـلام بك وتقدم لها أبي في نفس الوقت واختار سعد زغلول المحامي الشاب لمجرد ان اباه كان معه في احداث ثورة عرابي .

وكـان ضـعـف سـعد زغلول شديدا جدا تجاه الثورة العرابية ، وسبـب خـلافه مع مصطفى كامل ، ان مصطفى كان يقول : ان عـرابي اتـفـق مـع الانـكـليزعلى هذه الثورة حتى يجيئوا لا حتلال مصر ، وكان زغلول يشعر أن هذا الرأى فيه اهانة شخصية له .

مـن هـنـا لم يـكـن سعد زغلول قادرا على التفاهم مع مصطفى كـامـل بـسـبـب هـذه الـنـقطة . ومن ناحية اخرى كان مصطفى كـامل يهاجم عرابي ، لأن الخديوى عباس الذى كان يحكم مصر هـوابـن الخـديوى توفيق الذى قامت الثورة ضده ، وكان الخديوى يـعـتبر ان أي مـدح لـعـرابـي بمثابة هجوم على والده ، وطبقا لوقائع الـتـار يخ فـقد كان الخديوى عباس يمول حركة مصطفى كامل ، وجـاء في مـذكـرات الزعيم محمد فر يد رئيس الحزب الوطني ، أن الحزب تألف في قصر القبة .

كـذلـك كـان عمر سلطان ابن محمد سلطان باشا الذى وقف ضد عرابي من أكبر ممولي الحزب الوطني .

كـان سـعـد زغلول يعتبر ان أى اساءة لثورة عرابي بمثابة اساءة شـخـصـيـة لـه و بـعـد عـودتـه مـن المـنـفـى عـام ١٩٢١ ، وقـو بل كـالأبـطـال ، حـرص على أن يـقـف و يـقول : ليس لى فضل فى الحـركـة الـوطـنـية ، الفضل الأول للسيد عمر مكرم ولأحمد عرابي ولمـصـطـفـى كـامـل ولمحمد فر يد ، قال ذلك في معرض الرد على

الخطباء الذين راحوا يقولون له « انت خالق الحركة الوطنية » .

وكانت هذه أول مرة يذكر فيها عرابى بتمجيد ، بعد عدة سنوات من تلطيخه ووصمه بالخيانة ، أشاد به سعد زغلول ، وكان هذا هو الخلاف الوحيد بينه و بين مصطفى كامل .

كان دائما يذكر عرابى ، وكان يذكر انه شرع فى تكوين جمعية سرية ، اسمها « جمعية الانتقام » الانتقام من خونة الثورة العرابية . وقد اخبرنى النقراشى باشا ان سعد شرع فعلا فى تكوينها ، وانه انشأ عدة خلايا ، كل خلية مكونة من شخصين فقط ، لماذا؟ لأن قانون العقوبات المصرى وقتئذ كان يشترط لثبوت الجناية أن يكون هناك شاهدان ، ولهذا عندما قبض على سعد زغلول وقدم الى المحاكمة عام ١٨٨٢ ، حكم له بالبراءة ، لأنه لم يكن هناك سوى شاهد واحد .

أظنك تتفق معى انها أقدم خلايا سرية قبل خلايا الحزب الشيوعى ، وكان رأيه ان فشل الثورة يرجع الى سببين : الأول هو خلوها من عناصر المثقفين ، وكان رأى سعد زغلول فى العسكريين سيئا جدا ، الثانى انها كانت مركزة فى المدن ولم تنتشر فى القرى ، وكان يرى أن الفلاحين لوانضموا للثورة لما انهارت بهذه السهولة .

ولهذا انشأ الجمعية الخيرية الاسلامية لكى تنشئ مدارس للتعليم ، ثم دعا لانشاء الجامعة المصرية ، وكان أول اجتماع لها فى بيته ، وعندما عين وزيرا للمعارف ركز على انشاء الكتاتيب ،

وكان هو أول من ركز على ارسال البعثات الى الخارج . وأصر ان يقابل بنفسه كل مبعوث قبل سفره .

فى احد المرات كان يختار اعضاء البعثة من طلبة الحقوق ، استدعى الأول على الدفعة ، لكنه لم يقبله ، لقد وجده غير مؤمن بمصر فاستدعى الثانى ، فوجده ضعيف الشخصية ، ولم يقبله ، واختار الثالث ، لأنه وجده جديرا بالبعثة .

ثار المستشار البريطانى مستردنلوب واتهم سعد زغلول بالتعصب ، لأن الطالب الأول كان مسيحيا ، فقال سعد انه رفض سفر الثانى وهو مسلم ، وكان يعلق على هذه الواقعة ضاحكا : « تصور اننى اتهمت يوما بالتعصب أنا الذى عشت حتى قدت الثورة التى وحدت بين المسلمين والأقباط » .

الوفـــــد

و يستأنف مصطفى أمين الحديث عن والده :

« عندما بدأ تكو ين حزب الوفد ، رشح والدى عبد الرحمن الرافعى وأمين الرافعى عضو ين فى الوفد . ورحب سعد زغلول بهما ترحيبا كبيرا ، ولكنهما طلبا استشارة اللجنة الادار ية للحزب الوطنى ، وعندما رجعا اليها رفضت انضمامهما الى الوفد ، فعادا الى سعد زغلول وقالا له انهما برغم ذلك على استعداد للقيام بأى عمل فى سبيل الثورة ماعدا دخول الوفد .

كان سعد معجبا جدا بأمين الرافعى ، وهوالذى شجعه على اصدار جر يدة « الأخبار » التى كانت جر يدة الوفد الأولى ،

كما انه إختار عبد الرحمن الرافعى عضوا فى المجلس الأعلى للاغتيالات ، وكان من رأى سعد زغلول أن عبد الرحمن الرافعى لواستمر فى الوفد لأصبح خليفته .

اختلف سعد زغلول مع أمين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى ، وبرغم هذا الاختلاف ، استمر أبى شريكا فى المحاماة لعبد الرحمن الرافعى ، ولم يكن سعد باشا مرتاحا لهذه العلاقة .

كذلك كان لوالدى راى مستقل دائما ، وكان يخوض مناقشات عديدة مع سعد باشا ، وعلى سبيل المثال كان من رأى والدى أن يكون هناك جانب اجتماعى للثورة ، كأن يهتم الوفد بالفقراء ، ولكن سعد باشا كان رأيه أن تكون الثورة ثورة أولا .

فى سنة ١٩٢٠ وقعت أزمة غذاء ، أزمة طعام فى دمياط ، وقام والدى بتشكيل جمعيات تعاونية لمساعدة الفقراء فى دمياط والمنصورة والقاهرة ، ونظم أحمد شوقى قصيدة أشاد فيها بوالدى وشبهه بسيدنا يوسف .

ولكن الوفد كان يرى رأيا مختلفا ، كان يرى ان الاهتمام بالتموين والأكل سيحد من ثورة الناس ، وكان من رأى والدى أن الشعوب لا تثور وهى جائعة ، وكان من رأى اغلبية الوفد أن الجوع يساعد على انتشارة الثورة .

فى سنة ١٩٢٤ ، كان أبى سكرتيرا مساعدا لمجلس الشيوخ ، و بعد سقوط وزارة سعد زغلول نقل من وظيفته الى وظيفة صغيرة فى وزارة العدل ، فى سنة ١٩٢٨ ، بعد سقوط وزارة النحاس كان

أبى فى أوروبا ، فاستدعاه محمد محمود باشا وأجرى معه تحقيقا . فى سنة ١٩٣٢ ، بعد الغاء الدستور ، نقله اسماعيل صدقى باشا الى وظيفة مفتش للرسم فى وزارة المعارف ، وقتها ذهب أبى الى حلمى باشا عيسى وزير المعارف ، وقال له : أنا لا أفهم شيئا فى الرسم ، فقال الوزير : وأنا لا أفهم شيئا فى المعارف .

الضيـــــوف

كان أبى باستمرار يتضرر فى جميع الأوقات ، التى يتعرض فيها حزب الوفد للمتاعب ، كان أبى مستقل الشخصية ، وكان سعد باشا يحب الديموقراطية والنقاش لكن فى مجال الاسرة كان يفضل الطاعة التامة ، وعلى سبيل المثال فان من أهم الأسباب التى أدت الى حدوث الانقسام فى الاسرة ، أن بهى الدين بركات ــ وكان فى مقام سعد باشا ــ خطب فتاة دون ان يستأذن سعد زغلول ، وعندئذ قاطع سعد باشا الاسرة لعدة سنوات ، واستمرت القطيعة حتى قيام الثورة ، وخرج والدى على قرار سعد وكان يتردد على بهى الدين بركات ــ صديقه من أيام الدراسة ــ باستمرار .

وعندما نفى الأنجليز سعد زغلول نسى فتح الله بركات باشا الخلاف العائلى وأصبح من أقوى انصاره ، ونفاه الانجليز مع سعد عندما نفوه للمرة الثانية .

وأصبح بهى الدين بركات من اقرب افراد الأسرة إلى سعد زغلول إلى ان مات .

كـنـت أرى والدى فى الاجازات فقط ، وكنت أعايش سعد زغلول وقتا أطول ، ربما يفسر هذا غياب والدى الى حدما فى كتابى « من واحد الى عشرة » و« من عشرة الى عشرين » . ولكننى ورثت من أبى « التمرد » لقد رفت من وظيفته خمس مرات !

ونتساءل : ماذا تبقى فى ذاكرة مصطفى أمين عن الشخص الذى خلف سعد زغلول فى زعامة الوفد ، والذى اختلف معه مصطفى أمين فى الأربعينيات ؟ ماذا تبقى فى ذاكرة مصطفى أمين ١٩٨٢ حول مصطفى النحاس ؟

« .. كـان مـصـطفى النحاس صديقا حميما لاسرتنا ، وكانت عـلاقـتـنـا بـه حميمة جدا ، كان النحاس يتقاضى مرتبا من حزب الـوفـد قـدره سـتـون جنيها فى الشهر ، وكنت اذهب اليه أنا وأخى على نذهب الى منزله أثناء فترة المنفى ، كنا نسلم المرتب الى سيدة نـذكـر ان اسـمـهـا مـدام ايلين على ما أظن ، كانت مربية ومديرة للـبيـت ، وعندما انتقل النحاس الى مصر الجديدة ، وكان وزيرا للمواصلات ، كنا نزوره أنا وأخى بانتظام .

كانت صورة النحاس وقتئذ انه متطرف وبحكم سننا الصغيرة وقـتـئذ ، كان يعجبنا تطرفه ، وكان هذا يعجب سعد باشا أيضا ، لـقـد كـان سـعـد بـطـبـيعته متطرفا ، وهولم يقبل المواقف المعتدلة الاعلى مضض .

وعـنـدمـا انتخب النحاس رئيسا لحزب الوفد ، كخليفة لسعد زغـلـول ، فـرحـنـا بـه جميعا ، وفى سنة ١٩٣٠ استدعانى النحاس وطـلـب منى ان انظم الاضرابات فى المدارس الثانوية ، و بالفعل قمت بـمـجـهـود كـبير فى هـذا الـصـدد ، كنت مستعدا لأن اضحى بحياتى من اجله ، وفى أحد الأيام فكرت فى قتل محمد محمود باشا من أجله . كنت متحمسا الى اقصى حد للنحاس .

ولكن بدأت عقيدتى تتزعزع ، وايمانى به يهتز فى سنة ١٩٣٢ .

حـدث خـلاف داخـل حزب الوفد ، وكانت الأغلبية ضده ، والأقـلـيـة مـعـه ، فـلـما قـام بـفـصـل الأغلبية ، و باحساسى المبكر

استنكرت هذا التصرف ، ودهشت ، كيف ننتقد اسماعيل صدقى ، ونصفه بالديكتاتور ية فى الوقت الذى لا تخضع فيه الأقلية ـــ والنحاس معها ـــ للاغلبية داخل حزب الوفد .

ثم اكتشفت سر الصراع داخل الحزب ، اذ كان الملك فؤاد يؤ يد نجيب الغرابلى باشا سبب الانقسام ، وعندما علمت بذلك اتخذت موقفا الى جانب النحاس . واستمر تأييدى للنحاس .

ايدته فى عام ١٩٣٦ ..

وايدته فى ١٩٣٨ ضد محمد محمود ..

ثم حدث ان اختلف محمد التابعى صاحب ورئيس تحر ير مجلة آخرساعة مع الوفد ، وقرر أن يكون مستقلا ، وكنت مقتنعا بضرورة ان تكون آخرساعة مجلة مستقلة ، ولكن كان من رأيى أن تعلن استقلالها أثناء وجود حزب الوفد فى الحكم ، والا تعلن استقلالها عندما يكون خارج الحكم .

ولكن ما حدث هو ان التابعى قرر استقلال آخرساعة بالفعل .

و بدأ التابعى يهاجم سياسة الوفد فى سلسلة مقالات .

بيـــــــان

و يواصل مصطفى أمين حديثه عن هذه السنوات البعيدة ..

عرفت كصحفى ان الوفد أصدر قرارا يتبرأ فيه من آخرساعة ، وكان هذا يعنى موت آخرساعة موتا محققا ، استطعت ان احصل على نص البيان ، وأعدت كتابته ولكن باسم مجلة آخرساعة .

كـان بيـان حـزب الـوفـد يـعلن انه يتبرأ من مجلة آخرساعة ، وانه لاعـلاقـة له بالمجلة ، فاعدت صياغة البيان ليكون ، مجلة آخرساعة تعلن انها لاعلاقة لها بحزب الوفد ، وأنها لاتعبر عن لسانه ، ودفعت بـالـبـيـان الى جـر يـدة الاهـرام ، ونشر بيان آخرساعة فى الاهرام الـذى كـان يـوزع سـبعين الفا ، ونشر بيان حزب الوفد فى المصرى الـذى كـان يـوزع عـشرة آلاف ، وجن جنون الوفد ، لان كثير من الناس ظنوا ان ثمة اتفاقا بين المجلة والحزب .

ولكن لماذا فعلت ذلك ؟

ويجيب مصطفى أمين ..

سأقول لك :

عـنـدمـا كـان حزب الوفد يعلن التبرأ من جر يدة أومجلة كان ذلك يعنى نهاية هذه المجلة أوالجر يدة ..

سـعـد زغـلـول أعـلـن تـبـروءه من جر يدة الأخبار التى كان يـصـدرهـا أمين الـرافـعى فى العشر ينيات ، وكانت توزع عشرات الآلاف من النسخ ، وسرعان مانزل توز يعها الى بضع عشرات .

كـذلـك مـاتـت جر يـدة الـكشاف التى أصدرها احمد عبده عندما انتقدت الوفد

كذلك سقطت جر يدة البلاغ عندما اختلفت مع الوفد

كـذلـك ماتت جر يدة الجهاد عندما هاجم توفيق دياب مكرم عبيد سكرتير الوفد

كذلك روزاليوسف اليومية عندما أصدر الوفد بيانا يتبرأ منها

وكنت أنا أعمل مع محمد التابعى ، وبدا لى ان صدور البيان من جانب المجلة سيبطل تأثير بيان حزب الوفد .

وقد حدث هذا بالفعل ، فلم يتأثر توزيع مجلة آخرساعة ، ولكن جن جنون حزب الوفد ، وثار اعضاؤه ثورة كبيرة ، وغضبوا منى بالطبع .. هذه أول معركة بينى وبين النحاس ، معركة صحفية طبعا ، ثم استمرت علاقتى به جيدة ، ثم حدث ان التابعى كان يملك نصيبا من جريدة المصرى ، وأراد أن يبيع نصيبه الى النحاس ، وكان من رأيى الا يبيع ، فشلت فى اقناعه ،

وباع التابعى نصيبه فى جريدة المصرى بثلاثة آلاف جنيه للنحاس وبعد ذلك خرجت من آخرساعة واصبحت رئيس تحرير مجلة الأثنين ثم خطب النحاس فى احدى المناسبات خطبة هاجم فيها جيش الاحتلال الانجليزى وصفه بانه جيش السكارى ، كتبت مقالا احيى فيه النحاس ، ورفض أميل زيدان نشره ،

قدمت استقالتى ، ثم سويت الأزمة بعد ان اقنعنى النحاس بعدم الاستقاله ، كان من رايى فى هذه الفترة اننا لايمكن ان نقاوم الانجليز الا اذا كنا جبهة واحدة بما فينا الملك نفسه ، تحدثت الى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى ووجدته متحمسا جدا لهذه الفكرة ، وفى هذه الفترة كان الملك يريد أن يقف ضد الإنجليز فى مسألة بيع القطن ، كان الانجليز يريدون شراء القطن المصرى بثمن بخس جدا ، وقال لى أحمد حسنين باشا ان

النحاس لوساند الملك فى هذه الأزمة سيكون موقفا مشجعا للملك ، ذهبت الى النحاس فى رأس البر ونقلت اليه مادار ، فتحمس ، وطلب مقابلة الملك ، سأله فاروق عما اذا كان مستعدا للوقوف على جواره ، فقال له النحاس ، برقبتى . قالها وهو يمرر يده فوق رقبته .

وكانت هذه آخر مقابلة بين النحاس والملك قبل ٤ فبراير ١٩٤٢ . .

٤ فبرايـــــر

ويصل مصطفى أمين الى الفترة الحاسمة والتى وقع فيها الحادث الشهير ، حادث ٤ فبراير . .

« وفى أحد الأيام اتصل بى مكتب أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى ، ذهبت الى قصر عابدين ، وأشار لى سكرتيره صالح يونس الى مكتب أحمد حسنين باشا ، دخلت المكتب ، ورأيت الملك فاروق يجلس فوق حافة المكتب ويمسك بعصا قصيرة يضرب بها راحة يده ، سلمت عليهما ، ثم قدم لى أحمد حسنين باشا ورقة وقال :

ــ هذا انذار بريطانى سيقدم الى الملك . .

قرأت الورقة فاذا بها مايلى :

« اذا لم أعلم ان النحاس باشا سيؤلف الوزارة ، فسيكون الملك مسئولا عما يحدث له . . »

ثم سألنى أحمد حسنين باشا :

— هل تعتقد ان النحاس باشا سيقبل ان يرأس الوزارة بناء على هذا الانذار؟
قلت بسرعة :

— لايمكن .. مستحيل ..
قال أحمد حسنين :

— ياسى مصطفى .. أنا لا أفهم فى السياسة ، لكن لايمكن الانجليز أن يقدموا انذارا كهذا الا اذا شعروا ان النحاس موافق ..

عندما سمعته يقول لى : أنا لا أفهم فى السياسة .. ضقت بذلك ، كان المعنى انه يسخر منى ، قلت له :

— أود ان اقول لك اننى ولدت فى بيت الأمة ، وقد رأيت هؤلاء الرجال وهم يساقون الى المشانق، والمنافى والسجون ، وهؤلاء لن يقبلوا تأليف الوزارات بناء على انذارات من الانجليز..
ظل الملك ساكتا . وقال أحمد حسنين :

— حسنا .. انت صديق للنحاس .
قلت :

— نعم ..
قال :

— اذن اذهب اليه .. واسأله .. هل سيقبل ان يجيئ على اسنة الحراب ؟

وافقت ، وخرجت الى النادى السعدى حيث التقيت بالنحاس ، وجدته مجتمعا ببعض الناس ، فكتبت له ورقة اطلب فيها مقابلته لمسألة هامة ، خرج من الاجتماع ، وعندما رأيته بادرت بالسؤال :

ــ هل علمت ان الانجليز سيوجهون انذارا الى الملك ؟

قال :

ــ أنا أعرف ..

قلت له :

ــ وهل ستقبل ؟

قال بصوت مرتفع :

ــ آه .. الانجليز دخلوا الحرب من اجل الديموقراطية ، والوفد هو الأغلبية فالانجليز يريدون بالديموقراطية هنا .. والديموقراطية يعنى النحاس !

وتركنى وانصرف ..

بالطبع ذهلت ، وتذكرت سخرية أحمد حسنين باشا منى ، وخجلت أن اعود الى القصر ، وان التقى بأحمد حسنين ، لم ارجع الى القصر ، انما ذهبت الى الاهرام حيث انطون الجميل رئيس التحرير ، حكيت له كل ما جرى ، فقال بدهشة :

ــ مستحيل ..

واقترح على ان نذهب الى مكرم عبيد باشا سكرتير الوفد ، وقصصت عليه ما حدث ، وسألنا :

ـ هل من المعقول ان يقبل النحاس المجيئ الى كرسى الوزارة على أسنة الحراب ؟

فقال :

ـ لوبقى الانذار سر يا فان القبول ممكن .. ولكن اذا اعلن الانذار فاننا نرفض ..

وهنا يتوقف مصطفى أمين لحظات ليقول :

ـ موقف غر يب .. أليس كذلك ؟

وأهز رأسى موافقا ..

ثم ذهبنا الى القصر ، وقلت لأحمد حسنين باشا ماحدث ، ماقاله النحاس ، وماقاله مكرم عبيد ، اصغى الى ثم قال :

ـ اذن .. سوف استدعى كل زعماء الأمة وأقرأ عليهم نص الانذار البر يطانى .

جمع أحمد حسنين باشا كافة الزعماء السياسيين بمافيهم النحاس ، وقرأ عليهم نص الانذار ، وكان فاروق حاضرا .

اصغى الجميع صامتين ، ثم قال أحمد باشا ز يور ..

ـ من رأيى قبول الانذار ..

وراح النحاس يقول ان الجميع مسئولين عن الحالة التي وصلنا اليها ، ولكن الزعماء الموجودين ناقشوا النحاس ، حتى قال انه سيرفض الانذار.

انصرف الجميع ، ولكن بعد قليل انتشرت أخبار بان الدبابات البريطانية تحيط بالقصر ، وتم استدعاء جميع الزعماء السياسيين مرة اخرى ، وذهبت الى ميدان عابدين .

رأيت الدكتور أحمد ماهر رئيس مجلس النواب ، أوقفه جندى انجليزى وصاح ..

ــ قــــف

وحاول العضو ان يعرفه بنفسه ، ولكن الجندى الانجليزى دفعه فى ظهره بالسونكى حتى أوصله الى باب القصر .

ثم جاء شريف باشا صبرى ، وتكرر نفس الموقف .. وأمسكه الجندى من رقبته وسأل التشريفاتي الواقف على باب القصر : هل تعرف هذا الجدع !

حسين سرى باشا رئيس الوزراء دفعه الجندى الانجليزى من كتفه ..

أهان الانجليز كل قيادات مصر . عاملوهم بازل واحتقار

ولم يجيئ النحاس .

وشعرت فى هذه اللحظة ان هذه عملية هتك عرض لمصر ..

لــم أر دبابـــات

يتوقف مصطفى أمين لحظات حتى يستجمع ذكرياته البعيدة ..

انصرفت الدبابات البريطانية .

وبعد انسحابها بحوالى ربع ساعة ، ظهر النحاس ، قالو له :

— هل تقبل ان تجيئ على الدبابات البريطانية ؟

فقال :

— أنا لم أر دبابات

أحمد ماهر باشا قال له :

— هل تقبل ان تتولى الحكم على حراب الانجليز .. ؟

اسماعيل صدقى باشاقال :

— هذا ليس تعبيرا أدبيا ، لقد رأينا الدبابات بأعيننا ..

ومرت الأيام ، وتم تشكيل وزارة الوفد برئاسة النحاس ، وهنا توقعت اغتيال النحاس ، وفكرت فى نصر صحفى ، ذهبت الى وزارة المالية ، واصطحبت المصور محمد يوسف ، وقلت له ، ان النحاس سيخرج

الى الشرفة ، وأتوقع ان يتم اغتياله ، وهذا نصر صحفى كبير اذا تحقق ، بعد قليل تجمع الناس فى مظاهرات كبيرة امام مجلس الوزراء ، ومن بعيد لاحت سيارة السفير البريطانى ، واندس بين الناس عدد من الأفندية ، وراحوا يهمسون اليهم ، وازددت توترا ، اذ أن توقعاتى بحادثة الاغتيال توشك ان تتحقق ، وصلت عربة السفير البريطانى ..

وهنا وقعت مفاجأة كدت أسقط مغشيا على لهولها ..

الهتـــــاف

يقول مصطفى أمين :

« فوجئت ان الجماهير المحتشدة تتكالب على سيارة السفير البريطانى وتهتف :

— تحيا بريطانيا العظمى

— تحيا بريطانيا العظمى

— تحيا بريطانيا العظمى

وحملوا السفير البريطانى على الاعناق

وذهلت ! ثم خرج النحاس الى الشرفة ممسكا بيد السفير البريطانى ، وتكرر الهتاف ، أول مرة يتردد فيها الهتاف بحياة بريطانيا ، أول مرة فى حياتى اسمع

الهتاف بحياة بر يطانيا . وهنا تذكرت مسرحية الشاعر أحمد شوقى « مصرع كليو باترا » وفيها حوار بين حابى ور يون . حابى يقول

اسمع الشعب « ديون » كيف يوحون اليه
ملأ الجو هتافاً بحياة قاتليه
اثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه

كان هذا هو شعورى فى ذلك اليوم ..

وفى هذا اليوم انتهى النحاس باشا بالنسبة لى .

فى مساء ذلك اليوم اذاعت الاذاعة البر يطانية خبرا يقول انه لأول مرة منذ بداية الاحتلال يرتفع الهتاف بحياة بر يطانيا العظمى فى مصر ، وان الهتاف تكرر ثمانية وثلاثين مرة .

فى هذا اليوم بدأت عندى عقدة حكمت تصرفاتى تجاه النحاس فيا بعد ، ولهذا عندما حدث الخلاف بين مكرم عبيد والنحاس ، اتخذت جانب مكرم عبيد .

موقــف فاصـــــل

يقول مصطفى أمين :

« .. لقد ايدت النحاس فى جميع مواقفه حتى ٤ فبراير ١٩٤١

٤ فبراير ١٩٤١ .

هذا الهتاف ، وهذه الصورة ، ظلت عالقة فى رأسى ، وكنت اتمنى أن يجيئ اليوم الذى احكى فيه للناس مشاعرى ، وعندما اصدرت أخبار اليوم كانت امنيتى ان اكتب مارأيته ولوتسبب ذلك فى اغلاق الجر يدة ، وقد كتبت هذا بالفعل ولكن بعد مدة ، وان كنت لم اكتب كل شيئ .

قلت لمصطفى أمين :

اذن هذا هو الموقف الذى يمكن اعتباره حدا فصلا بين موقفين ؟

وقال مصطفى أمين :

— نعـــــم . .

لقد ساندت النحاس لسنوات طو يلة ، واختلفت معه خلافات عديدة لكنها لم تصل الى حد القطيعة ، اختلفت معه مثلا حول اسلوب عمل الصحفى ، كان من رأيه ان الصحف الوفدية يجب الا تنشر أخبار الاحزاب المنافسة ، خاصة فى الفترة التى حكم فيها اسماعيل صدقى ، وكان من رأيه انه لابد من نشر أخبار الأحزاب الاخرى ، والافان الناس ستقرأ الصحف الأخرى ، كان مصطفى النحاس لايهتم بنشر الاخبار لذلك كانت صحف الوفد ضعيفة من الناحية الصحفية .

ولكن يجب ان اسجل للنحاس انه كان احد ابطال ثورة ١٩١٩ وانه نفى الى جزيرة سيشيل وانه قاد الشعب ضد الانجليز والرجعية سنوات طويلة وانه الغى الامتيازات الأجنبيه وانه الغى معاهدة ١٩٣٦ التى وقعها .

.. قلت لمصطفى أمين :

ـــ لقد عملت فى عدة صحف وتسببت بعض الأخبار والتحقيقات التى كنت تعدها فى اغلاق عدد منها ، متى كانت اول مصادرة انت سببها ..

و يضحك مصطفى أمين ، يجيب على الفور:

« .. مجلة الرغائب » .. هذه أول مصادرة صحفية تمت بستببى ، كنت أعمل بها ، عندما وضعت فكرة صورة ، بعنوان « الرجعية كما تريدان تحكم » ، عبارة عن عرش عليه بومة ، ويجلس عليه توفيق نسيم رئيس الديوان الملكى ، ومصر منطرحة أرضا يدوس عليها بحذائه ، وتوفيق رفعت وزير الحربية يحمل بندقية مشهرة ، واسماعيل صدقى فى شكل جلاد يمسك سيفا يقطر دما ، وكتبت تحتها « الرجعية تريد ان تحكم » ، فى هذا الوقت كانت هناك حوادث قتلى بين الحكومة والشعب ، احتجاجا على وزارة اسماعيل صدقى ، كان معنى الصورة مقصودا به الملك فؤاد نفسه ، وزع العدد ،

ولكن صدر أمر باغلاق الجريدة نهائيا ، وسحبت رخصتها بشكل نهائى .

وهذه أول جريدة أغلقها ..

ـ و يضحك مصطفى أمين ضحكته الطلقة ، الصافية ، و يصمت ..

ربما شعر بارهاق نتيجة لحديثنا الطويل ، وربما اراد ان يخلو بنفسه مع تلك الذكريات الغنية البعيدة ..

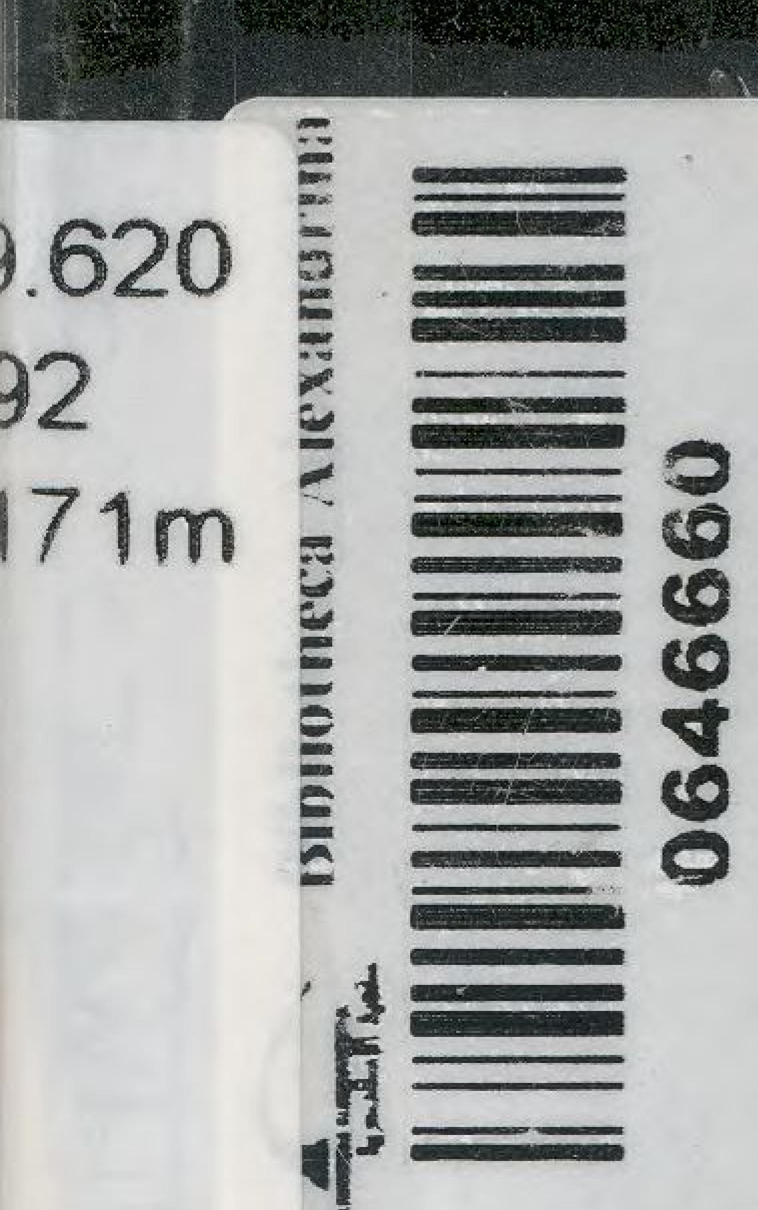
رقم الإيداع
١٧٩١ ــ ٨٣

طبعت بالمطبعة الفنية القاهرة ت ٩١١٨٦٢

١٧٥ قرشاً

هذه شهادة حرصت على ان اسجلها . بعد ان عشت جانبا من الاحداث التى كونتها ، لقد عاشت الصحافة المصرية خلال حكم الرئيس السابق انور السادات احلك فتراتها . لم تخل خطبة واحدة له من هجوم على الصحافة والتشهير بالصحفيين . وشهادة الصحفى الكبير مصطفى أمين تلقى الاضواء على هذه الفترة المظلمة من تاريخنا . كما تمتد لتغطى مراحل اخرى مختلفة تنتهى بسعد زغلول وثورة ١٩١٩ ، لقد تعرفت بمصطفى أمين لاول مرة فى عام ١٩٧٨ ، وعلى الرغم من اننى لست من تلاميذ مدرسته الصحفية ، واختلف معه فكريا . الا اننى احيى موقفه المدافع عن الديموقراطية ، والتبشير بالعدل ، وحقوق الانسان المصرى التى طال اهدارها ، من هنا كان حرصى على تسجيل هذه الشهادة الهامة .. اولا للتاريخ ، وثانيا : حتى لاننسى .

جمال الغيطانى



الناشر: مكتبة مدبولى ـ القاهرة
ت ٧٥٦٤٢١

تصميم الغلاف : بهجت عثمان